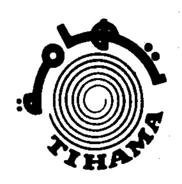


الكتاب العربي السعودي ٣٤

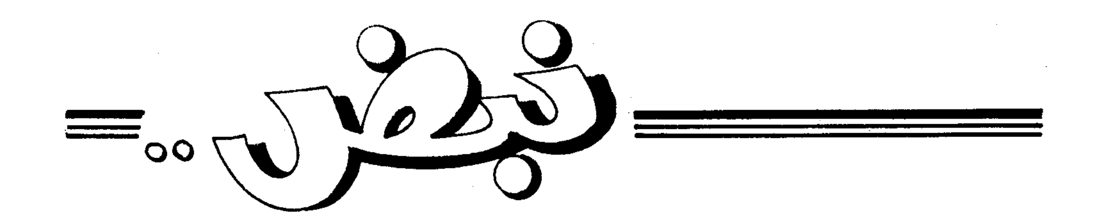
عبد الله عبد الرحمن جفري



الطبعة الأولى
١٤٠١هـ - ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

النـاشـر
تهـامـة
جـدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤


نبض ..



مقدّمة

لحظات النّبض ونبض اللّحظات

بقلم: رباعي عثمان

حينما صدر كتاب الزميل عبد الله جفري، بعنوان «لحظات» منذ بضع سنوات... تساءل كثيرون ممن اطلعوا عليه: شعر هو، أم نثر، أم هو كلام بين الشعر، والنثر وبعضهم وصفه بـ«الضبابية والتهويم الحالم»!!

وأظنني كتبت حول «لحظات» في حينه، ولا أذكر بم وصفته، ولكنني —قطعاً— تعاطفت معه، لعشقي هذا اللون من التعبير، فهو من أصدق ألوان الكتابة الأدبية وأكثرها خصوصية، إذ ينعكس عن الوجدان في أوج معاناته، وشفافيته، وفي هذه المرحلة من التأمل الداخلي، والتعامل مع الذات، يعيش الإنسان صراعاً مع مجهول يحبه، ويتعذب به، وأحياناً يستمتع بعذابه، وبقدر صدق عذابه ومعاناته، وعنفها، يجيء عطاؤه عميقاً، وغزيراً!!

وأنا أطالع أصول هذا الكتاب «نبض» تذكرت الكتاب الأول «لحظات» وقد أهداني أخي عبد الله نسخة منه، مصدرة بكلمات رقيقة.. تذكرته بما يشبه التواصل الفكري، والوجداني الذي انتظم الكتابين، ولعلي أجد نفسي عاجزاً عن طرح ما يتردد الآن في خاطري من بعض الشك فيما إذا كان هذا الـ«نبض» غير ذلك الـ«نبض».. أو لعله نسخة أخرى من تلك الـ«لحظات» النابضة.. ربما لا تكون نسخة طبق الأصل، ولكنه، هو، على نحو قد يصدق على بعضه، أو معظمه، وربما كله، وأرجو ألاّ أكون قد تجاوزت الحقيقة في هذا الظن!!

لا أستطيع أن أجزم بهذا.. ولكن التصور قائم على أي حال.. فبين «لحظات» النابضة كتاب عبد الله الأول و«نبض» اللحظات، كتابه الثاني الذي بين أيدينا الآن علاقة مضمون، وشكل، فقد استبدل الكاتب ثياب هذا بثياب ذاك، أو مضمون هذا بمضمون ذلك، ولا فرق.. إذ ينتظم الأخير جميع عناصر الأول:

* اللغة الشاعرة.
* حرارة الأداء.
* تقليدية المعاناة.

ولعل التعبير عن المعاناة بهذا اللون من الكتابة، وبهذا المستوى الجيد، أصبح مفقودا على الساحة الأدبية المعاصرة، فالكتابة الوجدانية، كعمل أدبي، تكاد تنحصر اليوم في الشعر فقط، لغنائيته المتوافقة مع طبيعة لغة الوجدان وقد خلت الساحة الآن أو تكاد من الشعراء الذين تألقوا في هذا المجال، ومعظم الجديد، الذي بين أيدينا نتاج سطحي، لا يحمل مضمونا ذا قيمة، وهو — في الغالب — شكل ممسوخ ومهترئ..!

وعندما أصف «المعاناة» في هذا المجال بالـ«تقليدية»، فإنني أعني أنه لا يكاد يتعدى حدود الذات، مهما تباينت، وتعددت دواعيها وصورها وأظنني لم أبتعد كثيراً عندما ترددت في تقرير إمكانية التكرار بين الكتابين، فمحدودية «المساحة التعبيرية» في هذا المجال، يفتح الباب واسعا أمام احتمال ورود مثل هذا التكرار، واحتمال قيام مثل هذا التصور!!

يقول الزميل الجفري في كتاب «لحظات»:

آه من الزمن المكسور بفعل دقيقة..
بفعل عقرب ساعة.. بفعل الانتظار — المتأخر —!!
خذوني إلى «نظام قلقي»..
دعوا قلقي ينتظم، وبعد ذلك.. ما أروع حطب المدفأة!
الزمن لا ينكسر إلا بأخلاق عقربية!!

●●●

الذهن يتمدد..

الخفق يحترق..

الآهة برقية مستعجلة

.. الدنيا ليل!!

●●●

نجمة الصبح لم تطلع هذا الصباح!!

هل فاجأكم المطر في لحظة إشراقة الشمس؟!

مهلا.. إني لا أسأل.

ولكني أبحث عن «الصبح أبو نجمة!».. عن المطر

والشمس تشرق!

وحدوا بين المناخين!!

●●●

لا استأهل لومك فقدار الإخلال بالعهد يرتقي و يعظم .. دون أن يتعرض للتفاؤل، أو الانحدار!

الذي يقف محفوفاً بالحب.. لا يجسر شيء أن يقف شبيها له!

إذا كان النبض، والفكرة، والذكرى، والتأمل ملكا للأصل المتوسد بين الضلوع، فالابتسامة — حتى ولو كانت غبية! — هي الصفح بعد اللوم!

و... أحتاج إلى منحة ابتسامة!!

●●●

أيتها الطالعة من صداه..

النازلة في مسافاته:

لقد كنت البريء في صدره..

المتهم بين شفتيه، وفي سمعه!

أسكت أنا لأنه استمع بعد أن تكلم.

وتكلمت أنتِ قبل أن تستمعي!
مع ذلك «ترى.. ماني صاحب صنعتين»!!
إن بعض النكران على أحد رغبة في هذا الأحد!!

يقول الزميل الجفري في كتابه «نبض» الذي بين أيدينا

في الحب.
نجري إلى كل الجدران لنزيلها،
فكان كل جدار نحاول أن نزرع غرسة من الزهور لتنمو وتكبر،
وتتحول تلك الغرسات إلى سياج...
يحوط بيت الحب الأسطوري الذي نسكنه.
إنني أتواجد في هذه المساحة الهائلة..
أبني حروفي لتصبح شمعة كبيرة،
أشعلها من لهب صدري لتضيء وجهك.
إنك تأتين كزهرة اللوتس..
أود حينئذ لو أتحول من شمس تبزغ
إلى مساء تتفتحين في ظلاله.
إننا نبحر في الزمان والمكان،
فإذا أنت منزرعة في بهاء الحزن،
وفي دفء أشواقي،
وإذا أنا شهقة فرح..
في لحظات الفرار من التحديق
ووجهك يبرعم يباسي..
يصوغ وحدتي من تخاطف يصنع مفارق الأيام!

●●●

كوخي يهتز تحت ر ياح غضبك،
وأنت تفكر ين في نفيي.
كوخي .. بابه مشرع،
يستقبل إشراقك
والليل برضعني أسفاري
و...« أتدروش »..
وأهز الظلال بجفني.
أصبح كل مايطوف على الساعات، هو وجهك الآتي دائماً..
الذاهب قسراً،
وأحمل انكساراتي وهي مخاض زمني،
وأحولها تضار يس ملائمة،
لتقبل كل ما ينام في الفواصل المعتادة بين الليل والنهار.
فتأملي هذا الليل..
إنه مستنفر بكل لحظاته،
ليحمل إلي إصغائك حكايتي،
وجرحي، ووميضي،
ورصاصي ورائحتك العبق،
وخلودك تحت جفني !!

●●●

إن حالة التأزم لدى الإنسان، أوسع من هذه المساحة «الجزئية» بكثير، وهي حالة يعيشها الإنسان من خلال ممارسته اليومية، وتعاملاته القابلة للإخفاق، والنجاح.. للكسب والخسارة.. وحالات الإحباط فيها، وهي التي تشكل المنطقة الساخنة في النفس أو حالة الذروة، ومنها ينبع العطاء الإنساني لدى الأسو ياء الموهو بين !!

إن حالـة الـذروة هذه، هي منتهى الطاقة المادية للإنسان، ونهاية قدراته أمام قوى مختلفة، لا يملك مواجهتها بقدراته المادية المحدودة، وهو عندئذ يلجأ لقواه الخفية.. «اللامحدودة»: الروح. الخيـال. الوجـدان، ومن خلاله يجد متنفسه المريح الذي يستمد منه القوة، ليتهيأ لجولات أخرى جديدة.. ثم تدور الدورة ذاتها بكل متناقضاتها: الربح، والخسارة.. النجاح، والإخفاق!!

ومع أنني لا أكاد أفهم، كيف يمكن أن تنشأ القوة من الضعف، والعطاء من العجز، فإن حصيلة التأزم لدى الموهوبين، هي رصيد الفكر الإنساني الذي يتجدد على مدى العصور.

وبهذه الثروة، استطاع الإنسان أن يقطع مساحات شاسعة من الرقي، والتقدم خلال المسيرة البشرية الطويلة!!

●●●

في الحقيقة أنا لا أحاول — هنا — أن أقدم دراسة، أو تحليلا لموضوع هذا الكتاب بقدر ما أقوم بسياحة فيه، وحوله، وهي، في نفس الوقت تلبية متواضعة لاستضافة كريمة من الصديق الأستاذ عبد الله جفري، في هذا العمل الأدبي، المفعم بالأحاسيس الدافئة والمشاعر الصادقة!!

والواقع أن لغة الوجدان لا تخضع للمناقشة، ولا تعترف بالاقيسة، والمعايير المتعارف عليها في الأمور الجادة، وهي ليست أحكاماً عقلانية، ولا هي قضايا ذات مقدمات تتوقع لها نتائج إيجابية، أو سلبية، بقدر ما هي نوع من «التذوّت» وشموخ «الأنا» أو تضاؤله.. ثم هي في النهاية «أنانية» مفرطة قابلة لـ«العشق» حتى العظم!!

يقول الجفري في كتابه« لحظات »:

رغم أننا معا ..
نذهب كل يوم إلى حديقة أشواقنا حول قلبينا ..
ونلتقي في أصداء كلماتنا ..
ونرجع إلى هذا العالم المزدحم ..
وإلى هؤلاء الذين يحبوننا ، وتعودنا على حبهم ..
فما زال الحزن — ياحبيبتي — هو قارورة العمر ..
وقد أحكمنا إقفال سدادتها ، وقذفنا بها إلى البحر ..
لعل أولادنا من بعدنا يلتقطونها ذات يوم ..
لعلهم يقرأون ما بداخلها من حزن عظيم ! .

●●●

رغم أننا معاً ...
عبرنا زمن الوله ، ورغبة الامتلاك ..
فما زلنا نغوص في داخل النفس ..
وما زلنا نبحر مع سرحاتها ..
نهرب من خفقة الصدق وما سكن الفؤاد ..
لكن وعدي لك — ياأعز الناس :
أن يثمر صوتي البهجة في إصغائك ..
فكلما سافرت نظراتي وجدتك واستعدتك !

●●●

أحمل ميراثي وأمشي اليك..
أنت في جذوري قرار الحياة.. لا استقرارها.
أنت الميلاد والموت و والميلاد المتجدد.
أنت الأمل والفصول المتعاقبة..
تعلنين في إشراقك في وجداني كله..
وتهربين إلى أطرافك!

●●●

ومن هذه الزاوية يمكن أن نطلق على هذا اللون بأنه تعبير«توقيفي» نقرأه على نحو من التسليم بمضمونه، بكل متناقضاته اللاعقلانية!!

ويبقى «الشكل» — حينئذ — ، جانباً حراً، خاضعاً للتقويم و«التقييم» الفنيين في درجته الابداعية، وبنيته التعبيرية.. يبقى عملاً أدبياً، وليس عملا فكرياً!!

ومضمون — هذا «البوح» الحميم عند الجفري — مضمون إنساني يغرق في الرومانسية،تعيش معه الصدق «الحزين» أو الحزن «الصادق».. إنه يغرق في الألم كثيراً، وينزف كثيراً، وهذا هو الوجه «الإيجابي» للمعاناة عند الجفري..

أما الوجه الثاني.. وجه الابتهاج والرضى في هذا العالم الرومانسي المتوهج، فيكاد يكون وجها سلبياً عند الكاتب، وهو وجه مفقود، أو غائب، مهما حرص على الحضور لأن الحاجة فيه، أكثر من «المتوفر» والعطاء فيه أقل من «الطلب» الملح الذي لا يرتوي، ولذلك يتواصل فيه الظمأ، وتتواصل فيه الشكوى!!

أنا لا أنكر على صديقنا الجفري، هذا «التأزم» فالكاتب لا يستطيع افتعال «المعاناة» وهي على أي حال — دليل «عافية» نفسية.. وأن يتمتع الإنسان بدرجة عالية من القدرة على الحب — لاشك — «سوية وجدانية»، وظاهرة صحية، ومؤشر من مؤشرات عمار النفس!!

إن معظم الآثار الأدبية والفنية التي بين أيدينا، هي — في الواقع — حصيلة آلام، ونزف داخلي، ناتج عن الصراع الأزلي مع الحياة، لأنه — في الغالب — صراع خاسر، ولذلك يحبه المتلقي، و يتعاطف معه، لأنه يتوافق مع مافي نفسه من إحباطات متراكمة، وقليل هذه الآثار هو حصيلة فرح، ورضى، ولحظات سعيدة نادرة بالقياس إلى عثرات الإنسان الكثيرة، حيال طموحاته، التي لا تعرف الحدود..!

●●●

أما بنية هذا اللون من التعبير، وشكله، فقد احتدم حول تسميته جدل كثير.. بعضهم سماه: «شعراً مرسلاً» و بعضهم سماه: «شعراً منثوراً»، وفريق ثالث سماه: «نثراً فنياً».. وقد جاءت كل هذه التسميات، في وقت لم يكن — فيه — النقاد والباحثون، قد قننوا، وقعدوا للأشكال الجديدة من الكتابة، بعد!!

وكما احتدم الجدل حول هذه التسميات، كذلك احتدم الجدل حول أول من كتب هذا اللون، وأوردوا أسماء كثيرة واختلفوا حولها، دون أن يدعي أحد من هؤلاء، وأولئك أسبقية في هذا المجال، ودون أن يعترف أحد منهم بـ«شعرية هذا اللون»!!

ولقد رفض صفة الشعر لهذا الأسلوب كثيرون، وردوه بعنف.. بل لقد سخر منه بعضهم وسماه بـ: «النثر المشعور» وشنوا عليه هجوماً عنيفاً، واعتبروه — في ادعائه الشعر — تخريباً يستهدف بنية الشعر العربي، فقد كانت نزعة «التقليدية» — في ذلك الوقت — لا تزال قوية وصامدة، وكان الغيورون على اللغة والتراث، يسيطرون على الساحة الفكرية، سيطرة «عملية» تامة، بما كان لهم من حصيلة علمية، غنية، ونتاج موفور، في الحقيقة، هو رصيدنا الباقي، حتى اليوم!!

أما طلائع المحدثين، فكان، تعريف «الشعر» التقليدي السائد — وقتئذ — وحتى أوائل عصر النهضة، دون طموحاتهم، وتطلعاتهم، ودون استيعاب ما أستجد من أحداث تعقدت معها الحياة، وتناقضت متطلباتها بحيث لم يعد من المقبول، أو المنطقي

أن يعنى الشعر بـ« الشكل » فقط دون المضمون، كما يفهم من « التعريف » القديم، فالشاعر ابن المجتمع وهو أول من يتفاعل مع أحداثه.. أفراحه، وآلامه، وتطلعاته، ومختلف متناقضاته، وتعريفهم للشعر — بأنه: « الكلام الموزون المقفي » — لا يتناول المضمون في اعتباره، ويجيز كل كلام موزون، مقفي، و يعتبره « شعراً ».. ومعنى هذا أن المنظومات العلمية القديمة كـ« ألفية ابن مالك » وغيرها من المتون الفقهية المنظومة، التي وضعت تسهيلاً لحفظها، تدخل في مفهوم الشعر، وفي هذا تقليل من قيمة الشعر ككيان فكري قائم بذاته.. ليس الشكل فيه إلا أداة، مهمتها خدمة « المضمون » بكل أهدافه الكبيرة، فالمضمون — إذن — هو « الأساس » الأول ولا يجوز إغفاله في أي تعريف للشعر!!

ومن هذا المنظور اتجه طلائع المحدثين — أيضاً — إلى البحث عن « تعريف » جديد، مقبول، بل، لقد تعدوا ذلك، إلى البحث عن شكل، أو أشكال جديدة للشعر تتوافق مع ما سمي، فيما بعد، بـ« أزمة الجيل المعاصر » التي تمثلت في حالات مختلفة تتابعت سريعة نتيجة عوامل، وأسباب كثيرة، ربما، لم يكن يعيها الجيل السابق، وربما غفل عن تهيئة أبنائه لمواجهة هذه « الحالات الطارئة » التي أول ما تغزو الطلائع الجديدة — عادة — وهي أول من يحس بها..!!

ومهما يكن من مسئولية الجيل الأول، أو عدم مسئوليته، فإننا لسنا في موقف إدانته، أو تبرئته في هذه العجالة، بقدر ما نحاول إبراز صورة مبسطة لهذه الأشكال الأدبية وأسباب نشوئها، وطرائق التعبير الحديثة التي نتجت عنها!!

على أن المحافظين تصدّوا، أيضاً، لهذا الاتجاه، وحاربوه بعنف ورفضوا كل شكل لا يعتمد على أوزان الخليل، واعتبروه موجة غربية، تستهدف هدم التراث، وهدم المكتسبات الموروثة.. ولكن المحدثين وجدوا بين هؤلاء بعض المناصرين، المتساهلين بيد أن هؤلاء تساهلوا في المضمون الذي تأثر كثيراً بالتعبيرات والصور الغربية التي لم يألفها الجيل الماضي، ولكنهم لم يتساهلوا في الشكل واعتبروا الموسيقى شرطاً أساسياً

للشعر، مهما كان شكله، سواء قام على «المقابلة المتوازنة»، ومماثلة طرفي البيت، أو قام على الأساس «النسقي والجرسي» فيما يشبه «القرار والجواب» في السلم الموسيقي العربي، وهو ماسموه — فيما بعد — بـ «الشعر الحر» أو «شعر التفعيلة».!

ولقد كان الجيل الجديد معذوراً في اتجاهه الذي وصف بالتطرف أحياناً و بالعجز، أحياناً أخرى، و بالتنكر للتراث في أحيان كثيرة، فقد شب، مرهق الفكر، والنفس، يحمل تركة مثقلة من أحزان وآلام الحربين العالميتين، إلى جانب عوامل أخرى كثيرة، تشابكت وتداخلت من خلال التطور، وانقلاب كثير من الأوضاع، والمفاهيم، ونشوء مذاهب، وأيديولوجيات، واتجاهات جديدة في الفكر والفن والسياسة والاقتصاد، بدأت تغزو العالم بشكل مثير، لم يكن معاصروهم من الجيل السابق يحسون به، أو يستوعبونه، شأنهم في ذلك شأن الأجيال في كل عصر.

في عام ١٩٢١ م في مصر، وفي عام ١٩٣٢ م في العراق بدأت تظهر أصوات جريئة، تكتب هذا اللون — مفككاً مرة، ونشازاً تارة، وموزوناً في بعض الأحيان — وتجنح إلى الخروج عن التقليدية بما اقتنعت بأنه تغيير ضروري، وتصورته الطريق إلى تحقيق رؤيته وانطلاقته الحتمية لمواجهة المرحلة الجديدة من تاريخ الأمة العربية، بكل قهر الواقع المعاش في ظل الاستعمار الذي كان يسيطر على معظم الدول العربية ولكنها أخفقت، ولم تنجح، ربما، لأنها لم تكن قد نضجت بعد، على الرغم من قناعتها بمبدأ التغيير، وضرورته!!

ومهما يكن من وجاهة هذه القناعة، أو تطرفها، فإن طلائع هذه الانطلاقة ظهرت — بجدية — مرة أخرى في العراق، بعد أن أخفقت الارهاصات الأولى التى كان صوتها خافتاً ودعواتها إقليمية، ربما بسبب ضعف وسائل الإعلام، وعجز أصحابها عن الصمود أمام قوة المحافظين وكانت نازك الملائكة، و بدر شاكر السياب في مقدمة هذه الأصوات الجديدة — على خلاف بين النقاد، ومؤرخي الأدب، حول أيهما الأسبق في هذا المجال..

على أن نازك الملائكة لا تعترف بأسبقية المحاولات الأولى التي ظهرت في مصر عام ١٩٢١ م وفي العراق ١٩٣٢م كما أسلفنا، وتشترط للأسبقية عدة شروط منها: أن يكون الكاتب قد قصد التجديد فعلاً، وأن يكون قد دعا اليه، وأن يكون هناك رد فعل لدعوته بين الأدباء والنقاد.. الخ تلك الشروط، ولم يتحقق شيءمنها في آثار كل الذين كتبوا هذا اللون في تلك الفترة المتقدمة.

وتؤكد نازك بأنها أول من «اكتشف الشعر الحر» في النصف الأول من كانون الأول «ديسمبر» عام ١٩٤٧م ثم صدر ديوان بدر شاكر السياب في النصف الثاني من الشهر نفسه، والسنة نفسها،بعنوان: «أزهار ذابلة» وفيه قصيدة حرة.. ودعت نازك الى «الشعر الحر» في مجلة الأديب في عدد يناير عام ١٩٥٤م بعنوان «حركة الشعر الحر في العراق»[١] وقعدت له القواعد من أوزان الخليل ما بين عامي ٤٩ — ١٩٦٢م [٢] و بذلك حققت لنفسها الأسبقية كما تقول.

ولكن نازك لم تسلم من بعض النقاد، وإن ناصرها كثيرون منهم، أما الذين ناصروا «بدراً» فقد ادعوا أسبقيته عليها، وحاجّتهم هي، وصدت دعاواهم بشدة وأقامت براهين لدعم وجهة نظرها، ومع ذلك لم يمنحها أحد منهم — حتى الآن — صك الاعتراف بهذه الأسبقية، ولا يزال الجدال يثور كلما اقتضت المناسبة ذلك..

على أنه لا جدال في أن نازك أدت خدمة جليلة للأدب العربي في هذا المجال يجب أن نسجلها لها بكل تقدير، على الرغم من أصوات المعارضة التي ثارت في وجه محاولتها الناجحة في تقعيد أوزان الشعر الحر.. فقد وضعت حداً لفوضى المتطرفين وأنصاف المثقفين ومدّعي الشعر، وقعّدت لهذا اللون من التعبير الأدبي أوزانا وبحوراً

---

(١) قضايا الشعر المعاصر ص ٤٩ — الطبعة الخامسة.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٨

مستمدة من علم العروض ربطت بها الحاضر بالماضي، والقديم بالجديد عن علم ودراية وتمكن وقد حددت ثمانية بحور للشعر الحر، مع إمكانية إضافة تنويعات جديدة حددتها بتفصيلات مطولة.. وقالت إنها بعد التجربة، والاستقراء، والمتابعة لسنين طويلة، وجدت أن هذه البحور الثمانية بتنويعاتها التي أضافتها فيما بعد، هي أكثر البحور الخليلية طواعية لهذا اللون من الشعر وسمّت هذه البحور، وأوردت أمثلة كثيرة لما صيغ منها، وكيفية الصياغة منها.. الخ

***

ولعل السؤال البديهي الذي ينشأ الآن هو: أين موقع هذا الـ«النبض» من هذا كله؟:

يقول الجفري في كتابه الجديد:

أحلم.. أحلم، فآخذك الى البعيد..
أفرش لك الدرب اللانهائي عشباً أخضر
أتوسل للسماء..
فتزخ رشات غيث تنقر مفرق شعرك الليلي،
وأدع يدي تحتوي يدك..
وتأخذني أصابعي تتخلل أصابعك ويخفق!
أتشبث بك..
أخاف أن تفرقنا عاصفة..
أو ريح مجنونة!!
أقول لك: تطلعي الى البعيد..

هناك حيث ديمة تظلل استراحة عمرنا..
هناك حيث يقف كوخ كالخيمة.. تنصبه وتقيمه خيوط من الأفق!

●●●

آخذك الى البعيد..
وكلما تلفتنا خلفنا رأينا ظلينا يتحدان في عناق!
ونعدو إلى الـ«هناك»..
نبتكر الزمان الطالع من خفقنا..
نرحل إلى الضلوع..
نغيب في هتاف الحياة عندما تعطي وأروي لك حكاية السنونو المهاجر، والوردة الطالعة من ساق أخضر كما «فلة» القلب،
والجدول المنساب..
عطاؤه من النبع الى الحقول لا ينضب ولا يمل..
أروي لك سنين الركض في وجه الشمس..
مشوار العرق والحزن، وفراغ الحياة وأنت بعيدة،
وجنون الحياة وأنت صامتة وضوء الحياة وأنت تثمرين..
فتملئين مساحتي زروعاً.
صوتك وعد..
وهمسك عهد..
وإيماءتك تأذن للفجر أن يبزغ!

والجواب البديهي أيضاً: أن «نبض» ليس «شعراً مرسلاً» ولا «منثوراً» لأن الشعر لا يرسل، ولا ينثر، مهما تجددت أشكاله، و يظل «الشعر» شعراً، و يظل

«النثر» نثراً، مهما ارتقت صوره وألفاظه.. وكل كلام مرصوف ومبعثر الجمل والعبارات والنقط، وعلامات التعجب، والاستفهام، لا يعد شعراً، ما دام لا يعتمد على أوزان العروض الخليلية كأساس موسيقي سواء على نمطه القديم– وهو النمط الأصيل– أو على نمط «التفعيلة» «النازكية» على قواعده الأصيلة الصحيحة..

وفي هذا المجال يتألق «نبض» نثراً فنياً جيداً يحلق فيه عبد الله جفري بخياله الخصب، ويحلم، و يغفو، و يبني آماله، و يشكو آلامه، كأروع ما تكون الإغفاءة، والحلم، وكأحلى ما يكون الأمل، وأمر ما تكون الشكوى!!

على أن عبد الله لم يدَّع شعرية هذا الـ«نبض» ولم يدَّع «شعرية» «لحظات» من قبله.. لذلك، فإن هذه «التوزيعات» في جمل وعبارات الكتابين، هي اجتهاد بحت، قد تصدق فيه إعادة التوزيع، بشكل، أو بآخر، دون أدنى تحفظ سوى ما يستلزمه سياق الكلام، وسلامة التعبير، وجمال الأسلوب.

ولا بد من أن نشير هنا إلى خصائص متميزة لهذا اللون عند عبد الله جفري، وهي خصائص جمالية، دون شك، ولعلها تنتظم أسلوب عبد الله جفري بصورة عامة، وهي:

* العبارة القصيرة.
* اللامباشرة
* «حركية» العبارة.
* صدق المعاناة.

وعبد الله جفري – كما أعرفه– من أفضل من كتبوا في هذا المجال، ومن أقصرهم عبارة وأكثرهم شفافية وصدقاً، ولا أتفق مع من يصفه بأنه «مقلد» لأنيس منصور، أو هو نسخة منه في رأي بعضهم.. ربما لأن أنيس اشتهر بالعبارة القصيرة في كتابته..

إن «خاصية» الكتابة «موهبة» قبل أن تكون «تقليداً» و«التفرد» بأسلوب خاص، هو أكثر خصوصية، وهو يأتي بعد الموهبة، من خلال التعامل الطويل مع الكلمة، ومن خلال النضج الفكري، ثم إن فكر أي أديب، هو— أولاً، وأخيراً— حصيلة قراءات متعددة تبدأ بـ«المطالعة المدرسية» ولا تنتهي إلا بنهاية الأديب، وهو يكتسب، خلال ذلك، رصيداً من المعرفة، ورصيداً من طرائق التعبير، تكوّن عنده أسلوباً خاصاً، في بعض مراحل هذه الرحلة، وفي هذا يتفاوت الكتّاب.. كل بقدر حصيلته، ومتابعته، وقدرته على التفرد..

و«التقليد» في هذه المرحلة غير وارد، شكلاً، ومضموناً.

وفي ختام هذه —السياحة— لا أدري إلى أي حد استطعت تقديم هذا الـ«نبض» إلى قراء الصديق عبد الله جفري ولكن —قناعتي دائماً— هي أن الكاتب ذاته، هو خير من يقدم لنفسه، ولأدبه وأظن أن عبد الله جفري، استطاع أن يقدم نفسه لقارئه بنجاح في موضوع هذا الكتاب.

سباعي عثمان

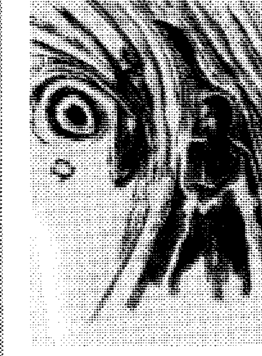


قبيلة من الحنين :





إننا نبحث في الكلمات ،
عن الملاح الحقيقية للحياة ..
عن أصدق ما استودعناه النفس ..
من احساس عزيز وغال ..
فأصبح سر وضمير الخفقة وحياتها .
إنه من المحزن أن تموت الكلمات في القلب ..
في لحظة البحث عن فرص العمر ،
وفي مزيد من هموم الزمان ،
وركض الوقت .
ولكن القلب يتحد مع العقل في الاحتفاظ بأجمل عبارة آتية من الصدق ،
وبأحلى التفاتة تستقر في رؤى الانسان الصادى !
وبعض الكلمات ..
لا بد أن تقال وحدها ..
بلا مقدمات ، وبلا تفسير ، وبلا مسببات ..
انها الكلمات التي تطلع من الصدر كنبتة اللبلاب ..



ما تلبث أن تكبر وتتسلق جدار النفس ،
وتنشر فيئها .. وتصبح سفرا متواصلا .

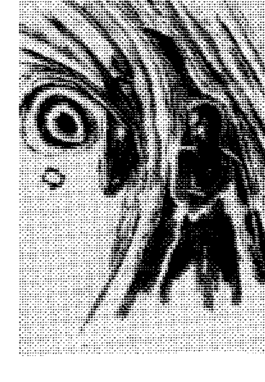
***

تبدّدتُ وتبعثرت ..
ونثرتني اللحظات ..
رمتنى الى خارج الزمان ..
وأنا ذرات من الشجن ، والتكامل ، والامتلاء ..
والخوف من الفقد في داخل الزمان !
كنت أستلقي على صدر أملي ـ
هذا الذي يمنحني بطاقة عمري ـ
وخلفي حزن اغتسلت منه ،
وفي داخلي بهاء وفرح أكبر من حسى ..
امتلكت فيه يقيني وخفقى ، وتجدد عشقى للحياة !
ولم أحتمل أن أسترجع ما أخذنى وأعطانى العمر الحقيقي ..
بل إننى أحيا اغماضة الهدب لتتفتح زهور الحياة ،
فيكفي أن لا نخون صدقنا ..
يكفي أن نفكر في السعادة ،
ولكن هذه السعادة هي لحظة تشرق ، ثم نجترها بعد ذلك ،
فالمكتوب بمعنى القدر :
أن نستمر في اجترار السعادة ..
ونظراتنا تغرق في الخوف من الفقد ..
ذلك الذي يقوض بناء النفس !!

***



ذلك المساء ...
رأيت فيه زمانى ،
فأترعنى وجدا ،
وأمرع نبضى فأحالنى إلى خفقة تذوب وتكبر ،
وأثخننى الشوق لهفة وانسكابا !
كنت كشجرة هرمة ..
هطل الغيث عليها فروى تربتها واخصبت من جديد ،
وطرحت ثمرها .
كنت أصادر فرحتى قبل اتساعها ..
لئلا أتحول إلى محيط يغرقنى ،
ثم يرمينى ـ كصدف البحر ـ وأغيب في الرمل !
كنت انسانا وتمثالا ..
وجدانا ولونا !!
كنت أبكى بابتسامة ،
وأضحك بآهة ،
وأتبدد كالواقف فوق الماء !!
تلاحقت أنفاسي كطفل ضائع .
وجد أمه فارتمى بين أحضانها ،
وهدأ ، وسكن ، وأغفى !
كنت الفرح الثمل في مطلع الامسيات ..
الحافلة بالتوق والشجون .
كانت الخطوة ..
بداية العالم ووجدانه الذي أفاق .



كانت المسافة ..
هي حصاد العمر الذي كان أعمى فأبصر ،
ركضت فيها وهزمت تعب الأيام الراحلة ،
وامتلكت رؤية الزهرة وهي تتفتح وتعبق وتنتشى !
ثم ... صحا الوقت ،
ليعيدنى من خارج الزمان ،
ويرمينى مذهولا ..
منسيا في خيام قبيلة من الحنين الجديد !!



لاشيء كاللهب ..
لاشيء كالحرير !





انني أعترف .. أعترف ،
ولكننا ـ جميعا ـ بماذا نعترف ؟ ؟
بالأنانية التي تنتعش ..
في سريرة البعض ،
وتلازم طموحاته ، وسلوكه مع الآخرين ؟ !
بالجروح ..
التي تزداد تفتحا فوق الأرض الواسعة ..
حيث يتوسد مشردون من ديارهم .
الرمل ، والحصى ،
ويتيه مبعدون من بيوتهم وأرضهم ..
فوق الأمواج وملوحة البحار ؟ !

* * *

بالأحلام المترفة ..
التي تقتحم فجأة صدور البعض ،
فتحيله الى جنون ،
أو تحيله الى مجرم ،
أو تدعه بعد ذلك كما حامل الصخرة : « سيزيف » !

* * *



بالاشتهاء ...
الذي لا نملك لحظته ..
أم بالأوهام التي منعت انسان القرن العشرين ..
عن البكاء ؟ !

* * *

أحيانا ..
أبحث عن (الحضور) كشخص ..
كفكرة ..
كحلم .
أجسِّده وأخاطبه كسمع ، وبصر ،
وأبحث في الكتب عن الأساطير القديمة ،
وكيف كانت تبلور (الحضور) وتمثله !

* * *

الانسان اليوم ..
هذا الحاضر الغائب :
حاضر في مادياته ، وركضه ،
ومقتنياته ، وتطلعاته الذاتية المحضة ..
يعمل كآلة ،
ويجعل التنافس والحرب ضد الحاجة ...
حسدا ، أو ضغينة ، أو حقدا !
وينام بالحبوب ،
ويصحو على المنبه ،



ويواصل ركضه !
غائب عن روحه ، ونفسه ، وانسانيته ،
وقناعة الآخذ والمعطاء ..
يحك قلبه عندما يؤلمه .
من كثرة التدخين أو الكحول ..
وليس من شدة الحب أو التعاطف .

* * *

الغياب أيضا ..
يأخذ البعض عن وطنه ،
فلا يتذكر « عريشة » العنب ..
التي كانت عند مدخل بيته القديم ،
ولا يتذكر شجرة « النيم » ..
التي كانت ترسل عبقها بعد منتصف كل ليلة ..
كان فيها يفكر في الثراء ،
ولا يتذكر النغم القديم ..
ذلك الذي كان يحفر ضلوعه ،
فيعيده الى مراتع صباه !

* * *

أبحث في هؤلاء عن (الحضور) بالحب للناس .
والحضور بالألفة مع الذكرى والحنين ،
والحضور في وريد الوطن ..
يغذيه عشقا وانتماءا !

* * *



فيا سيدي .. أيها الحضور :
في حضورنا أمام حلم ،
أو أمام اشتهاء ،
أو أمام وهم ..
نحن ضعفاء عرايا ،
بارزة فينا التشوهات التي أحدثتها الماديات .
فماذا نفعل عندما نقف أمامك أيها « الحضور » ..
وننادي على ما نرغب ، أو على ما يأسرنا ؟ !

* * *

المعين بلا حافة ..
فنحن نقلد « نيرجس » ..
عندما نحاول رؤية وجوهنا دائما على الماء ..
فنسقط غرقى في حضورنا ..
غرقى في الأشياء التي تتغير في داخلنا ،
.... ونتأسن !
أود أن أعترف ـ اذن ـ
أنني لست وحيدا ،
فهل هذا ممكن ؟ !
أن أعترف بأنني أفر من الحقد ،
وأنفر من الكآبة ،
وأهرب من الذاتية .. فهل أنجح ؟ !
أن أعترف بحاجتي الى الدموع الصافية ..



تلك التي لا يختلط فيها الغياب بالحضور ..
فهل يصدقني أحد ؟ !

* * *

أصبح الحضور مرهقا ..
فكلما حضرنا أمام ما نشعر ،
أو أمام ما نرغب ..
تبين لنا أن الصدق يهرب ،
وأن النقاء يتلوث ،
وأن الانسان يرتكب ما ليس فيه ، وما ليس له !
اننا صيد مستمر ..
في شبكة الهروب من أشيائنا الحميمة ،
ومن نفوسنا ..
نحن شكوى متراخية ،
وفي رؤوس المعترفين أصداء هذا الاعتراف القائل :
ـ « ان فى المكان شيئا مميتا ٠
لكن الزمان فيه تفسير ذلك الشيىء ..
فالزمان أقسى من الأمكنة » !
ولكن الزمان لا ينكمش ..
بل هو المكان ،
وقد فسر أحد الفلاسفة هذه الرؤية ..
في حوار له مع نفسه ،
وكان لا يذكر الزمان ..
لأنه ـ كما يقول ـ موصول مستنسخ .



أما المكان .. فهو الأجيال ،
وهو الأحداث ، وهو محن الكراهية ،
وهو ازدهار العشق والتوالد العاطفي !

* * *

أحتاج - اذن - أن أقهقه ،
فبعد كل حكيم ،
وفي كل زمان ..
يمتلىء العالم بالفلاسفة والمجرمين .
يتسع جرح العالم أعمق ..
والأنسان يتواضع بكل أحزانه وفقده !
الأنسان .. يحتاج أن يخاطبه اي انسان ،
ولكنه لا يفعل ذلك الا أمام البقالات ،
وفي عيادة الطبيب ،
وعندما يموت !

* * *

فيا سيدي « الحضور » ..
تجدد ..
فلم يعد بداخلك شيىء لم نتعود عليه !
تعودنا على الأحلام ..
فسئمناها !
وتعودنا على الجروح والأحزان ..
فدبغتها التفاهات ،
وتكرار المواجع في كل مساحة الكرة الأرضية !



وتعودنا على الاشتهاء ..
فلم يعد يجذب ،
بل أنه أصبح مقرفا !

* * *

تجدد ..
فأنت « حضور » سعيد الاسترخاء ،
ونحن ما زلنا نتحدث عن « بروميتيوس » ،
ونعانق رومانتيكية هاملت ،
ونصفق بحرارة لديدمونة المقتولة ، والقاتلة !
فلا شيىء كاللهب ...
لا شيىء كالحرير !!





قارورة العمر



رغم أننا معاً ...
نذهب كل يوم إلى حديقة أشواقنا حول قلبينا ..
ونلتقي في أصداء كلماتنا ..
ونرجع إلى هذا العالم المزدحم ..
وإلى هؤلاء الذين يحبوننا ، وتعوّدنا على حبهم ..
فما زال الحزن ـ يا حبيبتي ـ هو قارورة العمر ..
وقد أحكمنا اقفال سدادتها ، وقذفنا بها إلى البحر ..
لعل أولادنا من بعدنا يلتقطونها ذات يوم ..
لعلهم يقرأون ما بداخلها من حزن عظيم !.

***

رغم أننا معاً ...
عبرنا زمن الوله ، ورغبة الامتلاك ..
فما زلنا نغوص في داخل النفس ..
وما زلنا نبحر في سرحاتها ..
نهرب من خفقة الصدق وما سكن الفؤاد ..
لكنّ وعدى لك ـ يا أعز الناس :
أن يثمر صوتي البهجة في اصغائك ..



فكلما سافرت نظراتي وجدتك واستعدتك !
أحمل ميراثي وأمشي إليك ..
أنت في جذوري قرار الحياة .. لا استقرارها .
أنت الميلاد والموت ، والميلاد المتجدد .
أنت الأمل والفصول المتعاقبة ..
تعلنين عن إشراقك في وجداني كله ..
وتهربين إلى أطرافك !

***

أقبل على الحياة ..
وسلاحي : هذا التراب ...
أخطو فوقه اليوم ، ويكفّننى غداً !.
ولا بد أن أصل إليك ..
فكل الأشياء تصبح ملكاً لك ..
كل البحار موانئك ..
كل الطرقات إليك دروبي ..
أجعلها رياحي ، وأجعلك قوة هذه الرياح !

***

سأرتد إليك ..
لأطفىء شموعي بنسمتك ، وأعانق الظلال في طيفك .
سألوذ بصدقك ..
لأخفف عذابي كلما فكرت في الأقدار والفراق .

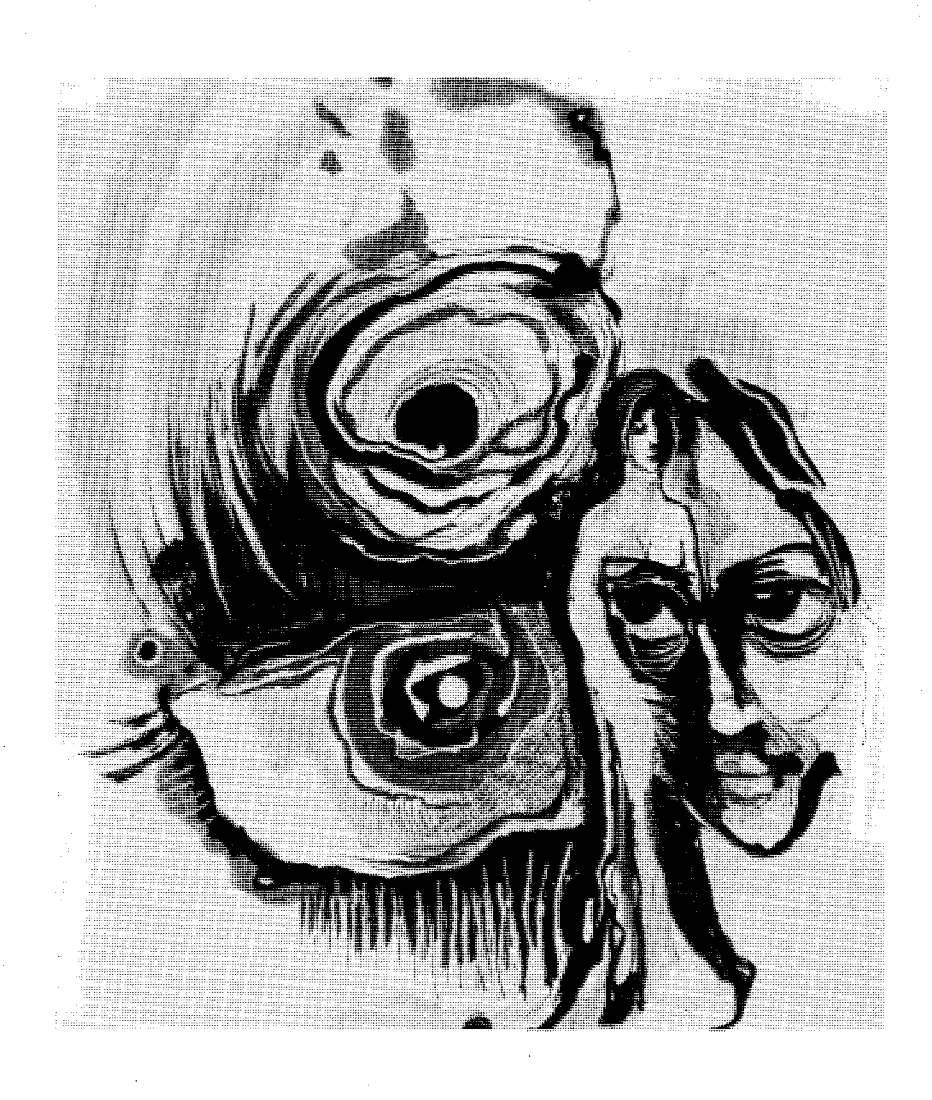


سأكون مجروحاً ..
أعود إلى نبعك لأغسل هذه الجراح ، وهي ...
ممنوحة من تعاقب الأيام والفصول !.
سأحتضن جنوني ..
وأقف لأمنعك من الهروب .
ستكونين الشوق والضنا .. الانتظار والبسمة .
ستكونين دوماً : لحظة الوجود الأصلية بلا زيف .

***

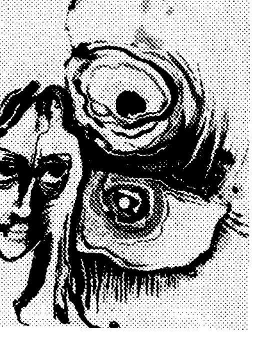
أمنح الدروب نثيرة من أناشيد الحياة ..
ما دمت تملئينها !
وبين غيابك ومجيئك أتقافز ..
أتقاسم الزمن والفرحة مع الظل وقوس قزح !
فما تزالين تشطرين نهاري إلى نصفين ..
تأخذين منتصفه ، وأعطيك منتصفه الأخير !
أريد ...
أريد أن أجعل من غروري بك .. ذاكرة لك ..
تحفر في عمرك ربيع الحياة !!





ممارسة الموت





الانسان تضنيه المعايشة لاكتساب المتاح ..
والتعزّى عن المهدر والضائع !!
ولا بد أن أجمل لحظات العمر ..
هي التي يجد فيها الانسان « داخله » ..
فيصفّيه وينقيه من كل شوائب الرغبات والضعف والصغائر التي علقت به ..
ويغسل أعماقه بلحظة صدق ، ولحظة حب ، ولحظة أمل !!
إن داخل الانسان في عصرنا اليوم هو المشكلة ..
لقد فسدت السرائر ..
وتشوّه الجوهر بكل « المتاح » المادي ..
هذا الذي أفقدنا المعاني ، وتحولت هذه المعاني إلى « الأصعب والأعظم » ..
تحولت إلى الشيء الوحيد الذي ضاع منا !!

***

إن الوشائج بين الناس أصبحت واهية جداً ..
لأن حدة الرغبة في مبدأ : « خذ وأعط » ..
مسيطرة على عاطفة الانسان وتفكيره ..



إن ما هو « متاح من فلوس ، ومكانة ، وفرص ..
غمر ـ حتى الغرق ـ كل لحظات التأمل في حياة الانسان .
فلم يعد يجد نفسه .. يجد جوهره ..
يجد روابطه الانسانية بالمرأة التي تعشق ..
والصديق الذي يخلص ،
والأسرة التي تتماسك ،
والناس الذين لا يهمهم في عطائهم لك نسبة ما يأخذونه منك !!
انه الخوف ، والحزن ، والتفاهة ، والشره ..

***

إن بطل إحدى الروايات يقول للأنثى التي يعالجها من انهيارها العصبي :

ـ « ان العالم يبدأ وينتهي داخل الانسان ،

وعندما نشغل أنفسنا بهدف ، فلا بد أن الحياة تصبح ذات معنى ..

فلا تنسي أن تبحثي عن معنى الحياة » !!

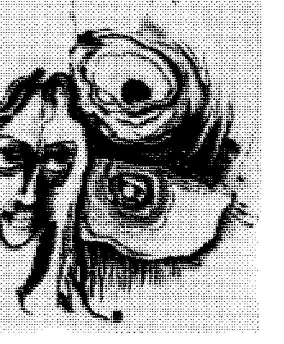
وهذا البحث هو الاجابة على السؤال المرهق عن المتاح والضائع ..

فعندما يحب الانسان الحياة ..

لا يهدرها في الصغائر ، والمواقف المؤقتة ..

الحب للعمر ..

هو في تأكيد (المعنى) الغامض الذي يركض الانسان من أجل اكتشافه ..



ليستطيع أن يؤكد قائلا :

ـ لقد عشت الحياة ، ولها طعم ونكهة !!

ولكن ..

من هو الذي يستطيع الآن أن يضع إصبعه فوق وجنة الحياة ..

أو يطبع شفتيه بقبلة رضا ؟!

إنه كلام شاعري ..

خيالي ..

يبحث عن الانسان ويتحدث عنه ويعجز أن يجده أو يحققه !!

إن عواطف الناس في هذا العصر مصابة بانهيار عصبي !!

إن عاطفة الناس تعاني من إغماء مزمن ..

إن تأكيد « المتاح » في حياة الناس .. يثبّتونه عن طريق الشيء المهدر ، والضائع من عواطفهم ومعانيهم ، وصميمية أعماقهم !!

وما زال « المفترق » يتكدس بجثث من « قلوب » الناس وعواطفهم ..

بينما الذي يركض ضائعاً وحائراً أمام مفترق الطريقين (الحب والموت) ..

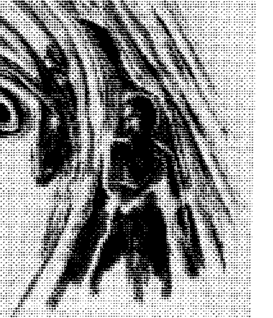
هو الانسان الذي فقد الحب ، ويمارس الموت !!





الخلود

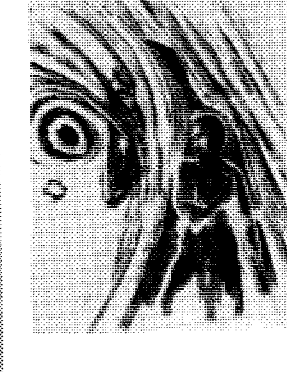




أحلم .. أحلم ، فاخذك إلى البعيد ..
أفرش لك الدرب اللانهائي عشباً أخضر ..
أتوسل للسماء ...
فتزخّ رشات غيث تنقر مفرق شعرك الليلى ،
وأدع يدي تحتوي يديك ..
وتأخذنى أصابعي تتخلل أصابعك ..
ويسكن قلبي بين أصابعك ويخفق !
أتشبث بك ..
أخاف أن تفرقنا عاصفة ..
أو ريح مجنونة !!
أقول لك : تطلعّى إلى البعيد ..
هناك حيث ديمة تظلل استراحة عمرنا ..
هناك حيث يقف كوخ كالخيمة .. تنصبه وتقيمه خيوط من الأفق !

***

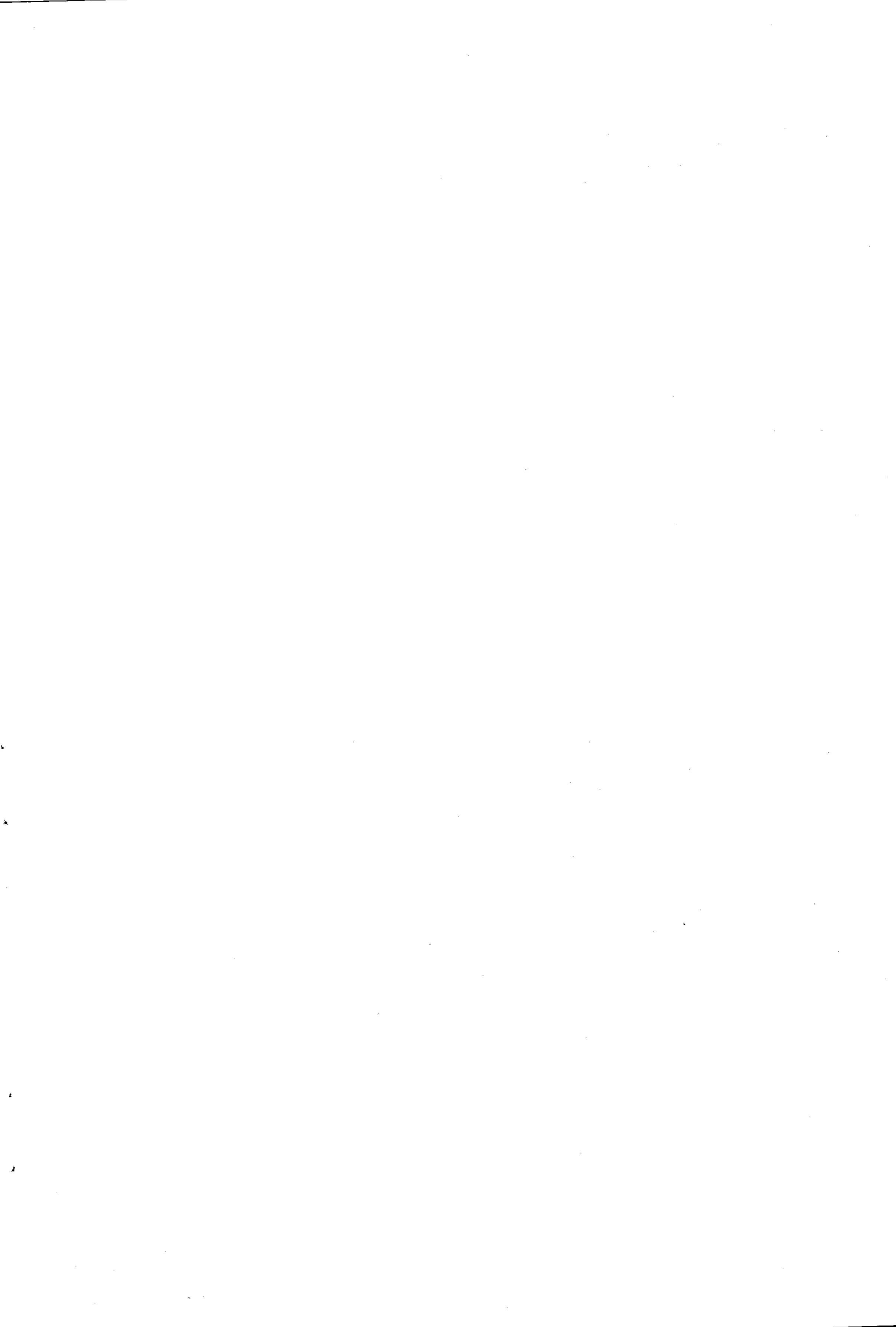
هنا ... عند شاطىء عينيك ..
طويت أشرعتى ...
وامتلأت بقاءاً ، وأبعاداً ،



ووجوداً ،
أرتضيك خلوداً في عمرى ..
أرتضيك تحديقاً لا يتعب ولا ينتهى ،
ولا يتراجع .
أجدك في قوالبي ...
في حيرتي وسهادى ، وهنائي واغفاءتي ..
أجدك في المسافات والسكن ، والمعانى ، والدهشة ،
والتمسك ، والخوف ، والراحة ..
تكونين في صدري الشمس التي ليس لها مغرب .
فتحت لك أبوابي ..
فلا أحد يدخلها سواك .. لا أحد يغلقها غيرك !!



بلا ندم





في الحب..
نجري إلى كل الجدران لنزيلها ،
فمكان كل جدار نحاول أن نزرع غرسة من الزهور لتنمو وتكبر ،
وتتحول تلك الغرسات إلى سياج ...
يحوط بيت الحب الأسطوري الذي نسكنه .
إنني أتواجد في هذه المساحة الهائلة ..
أبني حروفي لتصبح شمعة كبيرة ،
أشعلها من لهب صدري لتضيء وجهك ،
إنك تأتين كزهرة اللوتس ..
أود حينئذ لو أتحول من شمس تبزغ
إلى مساء تتفتحين في ظلاله .
إننا نبحر في الزمان والمكان ،
فاذا أنت منزرعة في بهاء الحزن ،
وفي دفء أشواقي ،
وإذا أنا شهقة فرح ..
في لحظات الفرار من التحديق ،



ووجهك يبرعم يباسي ..
يصوغ وحدتي من تخاطف يصنع مفارق الأيام !

* * *

آخذك إلى البعيد ..
وكلما تلفتنا خلفنا رأينا ظلينا يتحدان في عناق !
ونعدو إلى الـ « هناك » ...
نبتكر الزمان الطالع من خفقنا ..
نرحل إلى الضلوع ..
نغيب في هتاف الحياة عندما تعطى ..
وأروي لك حكاية السنونو المهاجر ،
والوردة الطالعة من ساق أخضر كما « فلة » القلب ،
والجدول المنساب ..
عطاؤه من النبع إلى الحقول لا ينضب ولا يمل ..
أروي لك سنين الركض في وجه الشمس ..
مشوار العرق والحزن ، وفراغ الحياة وأنت بعيدة ،
وجنون الحياة وأنت صامتة ،
وضوء الحياة وأنت تثمرين ..
فتملئين مساحاتي زروعاً ..
صوتك وعد
وهمسك عهد ..
وإيماءتك تأذن للفجر أن يبزغ !

***

أول حدودى أنت ،



وآخر حدودى أنت ..
بك أعلو على مرتفعات الهم .
من وجهك أرسم الصباح ،
وأنبت كل مساء في أرضك غصنا لا ينكسر !
أقول لك : تطلعي إلى البعيد ..
هناك كتبت في حدقتي المساء اسمك ،
ونثرت خفقى على دربك ..
لتزهري كل يوم كسوسنة .
هناك .. حفرت فوق جذع الشجرة ..
ابتسامتك الصافية ،
فأثمرت تفاحا ..
تفرعت فتحولت إلى غابة السحر والعطر !
هطل الغيث من شفتيك ذات مساء ،
وكانت أبعادى منهدّة ،
وجفني بلا رموش ،
وشفتي مشققة الحفافي ،
وكلمات صفحاتي تنثرها الريح ..
نحو الضياع والغرق ..
فاذا أنت تتألقين كلؤلؤة مخطوفة ،
وتتفتحين كزهة برية في أيام الربيع ،
وتوصوصين كنجمة القمر !
وإذا أنا أبدأبك الفرح الجديد .
وأعبر ذهولي ..



وإذا أنا أستعيد غبطتك ..
تلك التي تكبر ـ كوطن ـ
وأطير كعصفور لا يمل التحليق !
***

إنظري ...
العالم كله في الخارج يبحث عن الحب ...
الذي صرعه من وراء أحراج تعبه ،
علّمي بيت الحب الاسطوري ...
أن يحمل رضاءه ،
ويستقبل دخولك إليه وحدك ..
لحظتها يصير الزمن رافضاً للندم !
***

كوخي يهتز تحت رياح غضبك ،
وأنت تفكرين في نفيي .
كوخي .. بابه مشرع ،
يستقبل إشراقك .
والليل يرضعني أسفاري ،
و ... « أتدروش » ..
وأهز الظلال بجفني .
أصبح كل ما يطوف على الساعات ،
هو وجهك الآتي دائماً ..



الذاهب قسراً ،
وأحمل انكساراتي وهي مخاض زمني ،
وأحولها تضاريس ملائمة ،
لتقبل كل ما ينام في الفواصل المعتادة بين الليل والنهار .
فتأملي هذا الليل ..
إنه مستنفر بكل لحظاته ،
ليحمل إلى اصغائك حكايتي ،
وجرحى ، ووميضى ،
ورصاصي ، ورائحتك العبق ،
وخلودك تحت جفني !!



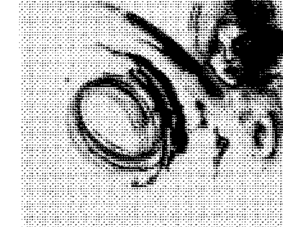


الأرض





تسلقت حواجز الليل ،
أحمل الكوكب الارضي تحت إبطي ،
وأعبر به هذا المدى وحيداً ..
أنثر اصراري على استقبال الفرح ،
وتنثرني أمواج السنين في عمق محيطات بلا قرار !
كنت أنتظر البزوغ الآتي من وجدان الانسان ..
صرت آتى إلى خفقات الناس تحت الظل ،
وأنا رملة باكية بلا صوت !
كأن الحروف يتيمة ..
لأن المعاني حزينة ..
ولكن الارض تطلع الزمان الجديد في أحلام الانسان ،
فبدون الأرض يفقد الانسان أحلامه ..
لأن الارض تراث ..
والأرض تاريخ ،
والأرض مأوى وذكرى ،
فكيف هي الأرض الآن في ضمير الأنسان ، وفي نزعاته ؟!
إنني أرفض استعارة الاحساس ..



فالاحساس عند الانسان دائما هو بداية الزمان ..
لكن الاحساس يسافر اليوم كثيراً ، ولا يجد الميناء !

***

أشياء كثيرة تغيرت ..
أناس كثيرون رحلوا من داخل صدورهم ،
فأصبحوا يعيشون بصدور مجوفة !
والشمس تطلع من المشرق ـ ما زالت ـ
والقمر يغزو السماء ويتباهى بالنجوم ،
وأنا أقف على الشاطىء ..
أتأمل الأمواج المترددة في وهن تارة ،
وفي عنف تارة أخرى !
صدري من زجاج ،
وعيناي من غرق ،
والايام لا تتوقف ..
فمن أنادى ، ومن أنتظر ؟!

***

لا شيء الا التغيير ..
لا شيء الا الرياح التي تخطف أنفاسنا ،
وتسرق ما تبقى من الحب !
عندما تتضح عواطفنا ..
تشيخ قدراتنا ...
يصبح الفراقٍ نتيجة ..

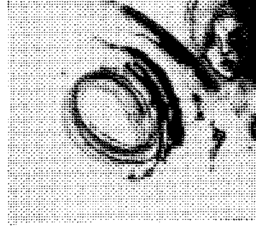


واللقاء « قدرا » ..
والأسئلة مخزناً للدهشة !
وتستطرد الأيام ..
بينما نتوقف نحن عند ذكرى معينة ..
تتحول إلى رجع للصدى !.

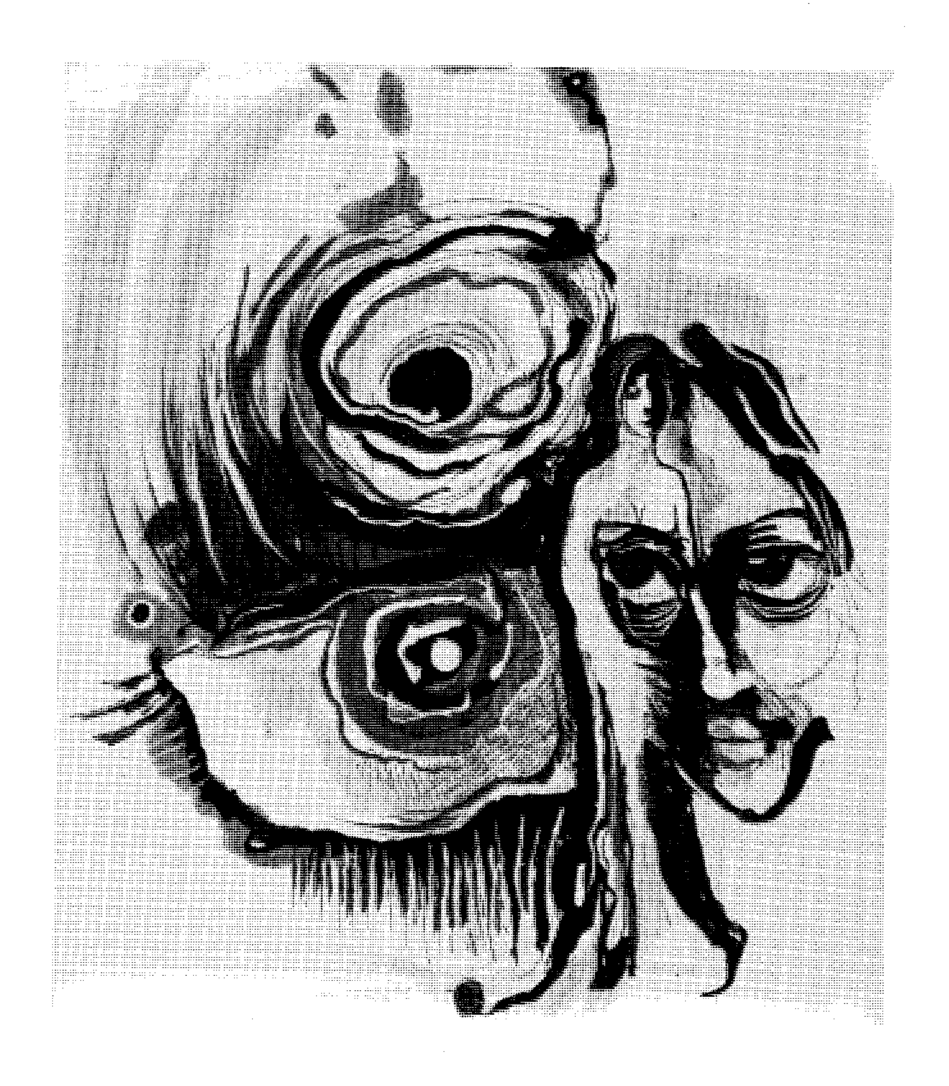
***

أيها الليل يا صديقي :
أن القصائد لا تعد شعراءها ،
لكن الشعراء أحياناً ينسون قصائدهم .
في داخل صندوق من الشمع ..
هذا الذي اسمه : صدورهم !
في لحظات الملل ...
نجعل من التثاؤب اجابة على كثير من الهموم ،
وبعد التثاؤب .. البعض لا ينام ،
ولكنه يتساقط كأجزاء ورقة مبعثرة .
إن الوقت يكون مرة هو الشارع ..
الذي تتعثر في مساحته تلك القصاصات من اعمارنا ،
ومرة أخرى يكون هو النافذة ..
وما زال الناس يجيدون الفرجة ..
ما زالوا يرحلون أيضا !!

***



الليل ـ هذا المسكون بحميمية الناس ـ
انه يرفض اصحاب العيون التي تشع أكثر من حدود الظلال فيه ،
والمشكلة : أن الليل أصبح بصيراً
ونحن تحولنا فيه إلى « عميان ! » ..
ولكن .. هل نرى •• وكيف نرى ؟!
وكلما اتسعت نظراتنا ....
كلما تكاثفت المرئيات والماديات ..
فعجزنا عن حصر المحسوسات أو اثباتها !



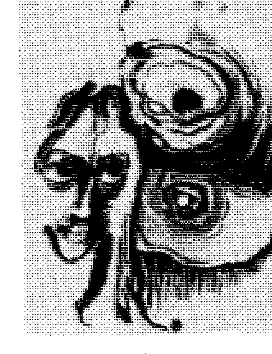
بريء .. ومتهم





إنني بريء .. ومتهم !!
إنها مشكلة عويصة ..
أن أصل هاتين الأدانتين لى !
فالبراءة إدانة ..
تدل على نصاعتك ، وعلى تجردك ، وعلى استقامتك .
وكلها صفات ينظر إليها الناس دليلا على البلاهة ،
وعلى الطيبة ،
وعلى خسارتك في معركة غير متكافئة !
والاتهام .. يدل على ارتكابك خطأ ،
وعلى تورطك في شيء لا يرضى عنه الناس ،
وعلى إنحرافك عن الخلق ،
أو العقل ، أو المنطق ،
وكلها شواهد يمارسها الناس ويشجبونها بعفوية ، وعاطفية !
ولكنى أتعثر حينما ألوّن خلقى ،
وأستغل عقلي ،
وأخنق المنطق في تصرفاتي !

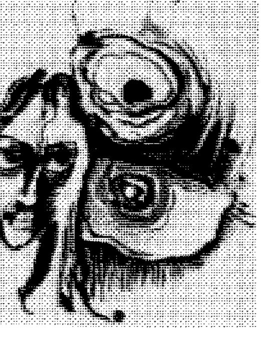
***



أتذكر « عوليس » ...
وقد باتت أغلب أشيائنا جروحا مغطاة بالملح !
ما الذي نشعله في داخلنا ..
ما الذي يشعلنا من خارجنا ؟!
إننا لا أكثر من « ممارسين » لحادثة ،
وكل حادثة نتأرجح فيها بين الادانة والبراءة .
وصدورنا عارية ·
وعقولنا جوفاء ..
لأننا نستولي على كل المعاني فينا بمعاركنا المادية !
لا شيء يخرج بريئا منا ..
لا شيء يستحق الادانة فينا ..
ولكن سلوكنا الانساني متوتر ..
يطالب ولا ينمو ..
يتمزق ولا يفعل شعورا نعترف به كلنا !
الحادثة تؤثر في خطواتنا ،
ونعجز ان نفعل الحادثة ذاتها ..
وفي استطاعة أي إنسان أن يدعى البراءة ،
وأن يدين غيره ،
ويفشل أن يدين عجزه ..
لأنه لا يرغب أن يعترف باحتياجه لقيمة الأشياء !

***

من أجل أن نحقق مكاسب الوضوح في علاقاتنا
مع تصرفاتنا ،



فلا بد أن يكون لنا دور نرتفع به نحو مطالب الحياة ،
بدل أن يهبط بنا إلى احتياجاتنا في الحياة !!.
ومن وقت طويل .
نسي الناس ما هو الحب ،
ولكنهم لن ينسوا أبداً شقاءهم ..
من أجل الحب أو نفيه !!
إننا ننفي بعض ما هو في جوهرنا ..
لنحصل على براءة ..
ندين بها هذا الجوهر !!





كل الحياة



إفتحي نافذة الوعد ..
يا موعداً يشرب من الفجر ..
ويهطل على ضلوعي فيروبها أملاً !.
أطمسى الأشياء الصغيرة ..
تلك التي كانت تكسر قلبي ، وتثقب ذهني ..
تفتحى كالصباح . كالخيلاء ..
كالوردة البكر ..
وأمنحيني خارج الزمان ..
حيث تدنو المحبة ، وينسكب صدق الفؤاد ..
كنغم متناسق منساب ..
دعيني اتزنر النجوم ، وأضيع في حفيف العمر ..
دعيني أغيب في كثرتك التي تغطى مهجتى وترويها ..
فلقد كنت بدونك ..
(على أيامي كان يشهق صمت ويبكى سكون) !..

***

كان تعب روحي يكسر ساعاتي .
أصبحت ساعاتي ـ وأنت زمنها ـ
تكسر الوجع والحزن والتعب ..



وتطوف بي مدن البهاء والغبطة .
هنا ـ في صدري ـ
لم يتبق إلا حكاية لا مثيل لها .. لاشبيه !
أنت الحضور ، والاغتراب ...
أنت الوعد والانتظار ..
أنت السيف والغمد ..
أنت الكلام والصمت ..
أحكي لك عنك ، وبين الليل والليل « شمس تشرق من صوتك » ..
وبين النهار والنهار قمر يضيء من شعرك !

***

عندما كنت أترقب إيابك ..
أخذت اكرر الزمن تحت جفني كل صباح ومساء ..
لم تكن البغتة وشماً في تصوري ..
أو على تجسيدي ..
لكنني كنت المتيقن من إعترافك بالشوق ،
ومن استجابتك للحنين ..
وعندما كنت تلوحين عائدة ..
أيقظت زهرة كانت نائمة لتنتشي بشالك ! ..
وضمخّت صوتي بتخطّرك !

***

آت أنا من الرياح وصبر العمر ...
أحمل غزّارة الشلالات ونقاءها وانسكب في أرضك ..



جوادي المستحيل ..
وزمني الجديد القديم يبدأ من عينيك ..
أنقش إيماءاتك وشماً على صدري ..
فأجدك الكلمات المحفورة من داخل الصدر ..
وتلوح حرائق الجبين كأنها الصراخ ..
كأنها الكبرياء الذي تكبرين فيه وتلدين ملامحى .

***

آت أنا ..
فلسنا ـ أنت وأنا ـ إلا الزمن الواحد ..
والخفقة الواحدة ،
والانفعال الواحد ،
والهمسة الأخيرة المتحدة ..
نكون فيها المحارب والمستسلم .
الشوق والعجز ..
الخيال والأماني .
أغني وأتقدم نحوك ..
أزرع في صدرك قلبي .
أملأك لمحاً ، وشوقاً ، وهوى ..
إنني حدس في لياليك ..
فألى أين المفر مني ؟!

***

أركض بكِ إلى شباب الزمان وقد صرتِ كل عمري ..



صرتِ رمحاً في انفعالات هذا العمر ..
أمزجك بحفاوة روحي وإحتضار قدرتي ..
أزرعك سنبلة في أرضي المأهولة بضوئك ،
وأعبر بك دمى وانفاسي ..
لنصل أنت وأنا حدود الخوف ..
هناك حيث يحتفلون بعرس الحياة ..
فأنتِ ـ لا غيرك ـ كل الحياة !



هات عينيك





قرص الشمس ينحدر عند الأفق ..
قانياً ، مضرجاً بحصيلة النهار كله .
الشاطىء أخذ يستعيد أنفاسه ..
وهو يتخلص رويداً من الأقدام التي ركضت فوقه ،
وجرت فوق رماله ،
وتقافزت على حصاه .
الزحام في كل مكان ..
حتى عندما تنحدر الشمس للمغيب !
نظراته ـ تلك اللحظة ـ ضائعة ...
ترحل خلف الغروب ..
ممتزجة .. مطوية بين المياه الزرقاء الداكنة ..
وبين ترددات الموج الخفيف ..
وهو يصطدم هيناً بحجارة الشاطىء ..
لا شيء في العينين مما كان مرئياً :
لا الزحام ، ولا الانطلاق ،
ولا حتى ذلك التواجد المؤقت في الوقت ..
بل كل الشيء الآن ـ في العينين ـ
هو ذلك الكل المازال في الضلوع ..



من المحسوس ، ومن الرجع .
ومن أصداء الزمان الذي تفوّق على الوقت ،
وكبر بالعمر وبالوفاء !
انه هذا الصمت النبيل ..

* * *

حينما تغرورق العين بدمعة لا تهون ..
وفي الدمعة تختال صور الذكرى ،
وتكبر الأيام ،
وتضيء النفس براحة العهد للحفاظ على الغالي ..
فهل الصمت حزن ..
هل الصمت إدانة لعبث الإنسان بصدقه ، وبقيمه ؟!
كان الصمت حوله ،
وكان على امتداد البصر ..
شعاعاً في البصيرة ،
ودفقاً دافئاً في القلب .

***

أما سرحة النظر ..
فقد كانت تطارد ذلك (الذي يأتي ولا يأتي) .
أما الرجع ..
أما الأصغاء للمترسب بين الضلوع وهو يطفو الآن ..
فقد كان تذكراً لعبارة ترددت في زمان لا مثيل لعنفوانه ..
وتمتد يد هذا المبحر في مكانه مع الصمت والتأمل ..



وتدير مؤشر الراديو ،
فيأتيه الرجع ثانية من البعيد ..
من خلال أغنية لا يطيق سماعها حتى لا تضطرب قدرته ..
حينما يربط الأمس بالغد ..
لكنه مشدود إلى النداء العفوي والصادق فيها :
ـ « هات عينيك ترتاح في نظرتهم عينيه » !!
ويسارع ..
فيفر بمؤشر الراديو من جديد ..
يركض به هارباً من دمعة لا يستطيع احتمالها ..
إنه يبحث عن برنامج ضاحك ..
عن نكتة سخيفة جداً ..
لقد امتلأت أغنيات العرب بالدموع ..
بينما تكاد تنضب مآقيهم من الدموع !

***

وتمتد نظراته إلى البحر من جديد ـ
في رمق النهار الأخير ـ يتأمل ..
كيف يغرق هذه النظرات ..
وكيف يدع ما يختال في الدمعة يسبح حتى يبلغ الشط ؟!
إنها سرحة من الشعاع الروحي ..
تتهادى فوق مياه البحر .. حافظ الأسرار !
إنها لحظة من امتاع الذهن أيضاً ..
كما فلتر ينقي من أوشال الألم ،



ويشذب الحزن ..
عندها يقدر العقل على الانطلاق بعيداً ..
حتى يتصل مداه بمدى الأحلام العريضة ..
تلك التي تسقط غالباً مع قرص الشمس الآفل !!

***

لكن الزمن يتحول إلى مجرد « وقت » ..
عندما يخلو من الانتظار ..
ومن الوعد ،
ومن الكلمة ذات الصدى ..
فالزمن هو عهودنا ..
وهو قيمنا ..
وهو معاني الأنسان في الوجد وفي الفكرة !
وبذلك تبقى موانىء النفس مضيئة ..
رغم غارات الكراهية في عالم الانسان ..
رغم التفاهة !
إنها ما زالت ..
هذه الموانىء التي تستقبل أشرعة بيضاء قادمة ..
بينما البحار تقذف الأصداف والوشل ،
« وما زال الحنين لظى » !

* * *

ترى ـ يا أيها الانسان ـ
هل في إمكان التجربة الانسانية ..
أن تعبر باحساس الانسان من ارتطاماته ،



وما حوله من احباطات ..
إلى قناعة بجدوى الزمن ؟!
إنه يسكن الموانىء ،
ويرضع من سحابة تلوح بالغيث !
إنه ـ كما يرى نفسه ـ
يقف فوق صارية رست سفينتها ..
وكلهم يرحلون ،
ويبقى وحده يستقبل الوقت ،
ويودع التجربة خلف التجربة ،
والموج يقهقه ، والبحر يعلو وينحسر ،
والصارية تنتشر على وجه البحر ،
وما زالت السفينة تتمايل بلا تعب !

***

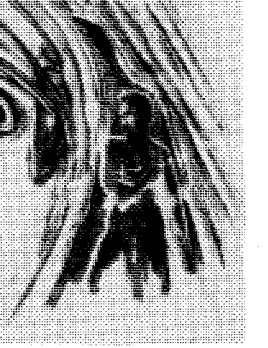
وعندما كانت النفس كمحارة تائهة في الموج ..
كانت ضلوعه تستقبل النداء المتجدد ..
في دعوة للحياة .. للأمل .
إنه لا شيء يقدر أن يتحول إلى فراغ ..
طالما حافظت نفوسنا على عمار الحب لها .
الفراغ الحقيقي ..
هو أن لا يبقى لك شيء تفكر فيه ،
ولا يبقى لك من تحبه ، ويحبك ..
لحظتها يتحول الزمان إلى وقت ،
وتكف الحياة عن الحياة !!





وعي مجروح

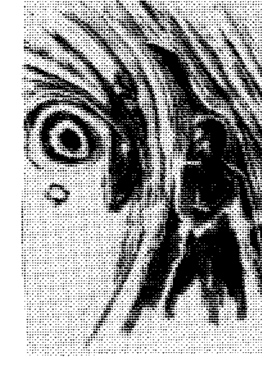




في داخلي سؤال .. أنشره وأطويه ..
أدفع به إلى الموج وأسترجعه .
أتفاءل به وأنكسر بعد ذلك منهزماً !!
الناس يبحثون عن الحنان .
الناس أضاعوا ميلاد أشيائهم الغالية !
الناس يومضون كالبرق في الليالي المرعدة ..
ولا يهتمون بميلاد الحياة الجديدة !

***

ـ أي ميلاد ؟!
ـ أوه .. لا شيىء يا سيدي ..
إلا شنشنات تصدر من داخل جيبك .
إما أن ينفتح الجيب ..
أو ينفتح الصدر همّـــاً وتعاسة ..
ـ العصر مادي بحت ،
ـ الناس قد تعودوا على المال !
ولكن .. ليس هذا هو السؤال ..
المحور .. مسافته أوسع ،



والفرجال مشلول الساقين .. لا يعطى دائرة مكتملة .
في هذا الزمن بتنا محدودي النظرات ..
الذي نراه أمامنا نبصره .
عيوننا أتعبها الرمل ..
صدورنا أغرقها الزبد !!!

***

ـ قال جبران : الحياة محبة .. فراقبوا وجدانكم تفوزوا بالحياة
(ضحك متواصل) !!
ـ قال باخ : الحياة نغم .. فاصمتوا قليلاً لتصل إلى أسماعكم ..
الأصوات الجميلة التي تريح نفوسكم التعبة !
(صفير متقطع) !
ـ قال سائق تكسي : المشوار بعشرين ريال...
وإلاّ فإن المشي رياضة هامة حتى لا تصاب بتصلب الشرايين !
(بصقة لا متناهية) !!

***

ـ لماذا أبقى داخل ميناء واحد ؟!
الجميع يجلسون ، وأنا أحب أن أقف ولو على رأسي !
منتهى العشق ، ومبتدأ الرغبة ،
والذين ماتوا ويموتون (والله استراحوا) ..
حقيقة البقاء ، وفلسفة الرحيل !!



وجداني مقهور... مثلّم ..
والطرقات ليست كلها الآن تؤدي إلى روما !
إنني أبحث عن طريق واحد لا يجعلني عدة أجزاء ..
طريق يلمّ هذه البعثرة كلها .. ويقتلني !
إنني ـ في البداية ـ لا أبحث عن الحنان ..
ولكني أرغب أن أجد الذين يعرفون الحنان !
كل القسوة أن تكون ميتاً ، وتحاسب على الحياة !
مجداف من حنين ، ومجداف من صفعة .
الحب هكذا .. الحلم فيه مريح ، والمعاناة فيه صهد وقّاد .
وكلماتي تسافر إلى عقول الناس فيتفلونها ..
وتقرع صدورهم فيهيلون عليها الفضلات العفنة !!
إنني أومض .. أومض ..
أصبح وعياً مجروحاً ..
أتحول شرارة تطوف وترجع اليّ .. لتحرقني !



الغربة





فجاة وجد نفسه من جديد ،

وفجأة ـ أيضاً ـ أضاعها !

أضاعها في ذلك الشعور المكثف بالتواجد ..

اضاعها في ذلك الردع الغامر الذي تمليه عليه أشياء عمره الحاضر .

كان يمثل الفرح المتفجر .

وكان يغرق في الألم النازف ..

ضدان اجتمعا في لحظة اكتشاف واصطدام ..

في عودة روح ، وفي عجز عن امتلاك الأمل ..

في مواجهة حقيقة صادقة ، وفي شحوب انتباهة !

كأنه سيد الزمان حينما يشعر بالتواجد ..

وكأنه ثمالة الكأس حينما تأخذه الحقيقة !

والذكريات المستقرة في القرار لا تقدر على التلاشي .

والعمر الجديد يطلع في الوقت ، ويهدر في النبض !

ولكن الحقيقة لا تتغير ..

***

إنه الغريب الذي امضى سنوات العمر جوالا .

يزرع الحياة ، ويفتح أبواب الليل بحثاً عن « جنية » توأم .



نرضعه استقرار الشعور ..
وتهدهده في أرجوحة النشوة ، فأضناه تعب البحث .
وكادت الأيام أن تهرم وتشيخ به ..
لكنه في اعتراكه بالضنا ..
عادته الأصداء من البعيد ..
وكأنما انتصبت في حدقتيه أشجان صوت يشرق بالغربة .
ينجرح بالاسئلة التائهة ..
يبحّ بالنداء الذي يبحث عن قرار .
كان الصوت القديم يتجدد ، بينما الزمان يوغل في الشيخوخة !
صوت ينزف الوجع والحزن والآهة ..
يفتش في نداءاته عن كل ما يفجّر التذكر !
وكطفل خطفه الزحام .. بكى !
وكقلب تراكمت عليه تشوهات السنين .. ارتعش !
وكعين كادت الأضواء الجديدة أن تعشيها ..
حدّق في الظلال وانكسار الضوء !
فأذا به ـ بكل ما فيه ـ يقترب من الصوت القديم وهو يتجدد يمتزج به ... ينغمر ...
كأنه هو . كأنها حنجرته . كأنه يردد أمانيه التليدة ، وأشجانه الغريقة .
وافكاره الراحلة ، وسخافاته ، وكل حزنه !

***



وجاءت الكلمات تمحو التذكر ، وتقتلع غرسة التناسي .
وإذا الماضي كله كالأرض البكر التي تستقبل أول غرسة فيها . لتزرع الغد !
عاد « الغريب » يتمنى ، ويحلم .
ويتصور ، ويجسد الخيالات ،
فاذا الجراح خفق ، والحزن شجئ ، والغربة لقاء .
ولكن .. كم يطول عمر الأماني ؟!
إنه بعمر الكلمة التي تفر من تيه النفس ..
إلى تمنيّ الأحلام القديمة ..
إن الأحلام القديمة لا يمكن أن تتجدد ..
فالزمن الذي انبجست فيه قد ولىّ ...
والزمان الحاضر لا أكثر من صدى حنون .. حنون فقط ..
فكيف سيكون الغد ؟!
إنه بعمر الخفقة الأولى التي كانت تكبر في الحس .
حتى تصبح وجوداً لا بديل له .
لكن الخفقة الأولى تأتي غريبة الآن .
يتيمة في زحام خفقات الآخرين ، الذين استعمروا مكان الخفقة الأولى .
وأقاموا المستوطنات الغريبة عن هذا الوعاء !
عاد « الغريب » يصغي ويتعذب !

***

كان الأسى يسيل صبراً .



ويهرق بلادة ، ويغور في رمال السنين !

إنه الدمعة .. في لحظة اصطدام الصدى بالواقع المفروض !

إنه البسمة .. في لحظة الخروج من الزمن المعاش ..

إلى عالم رحب من الروح !

فهل يعود غريباً كما كان ؟!

يبحث عن المستقر لمعانيه .. وهي ما تبقىّ فيه !

ويبحث عن الهدوء لروحه .. وهي وحدها التي لم تشوّه داخله !

يجعل في صدره وفاء للنفس التي وجدها يوم أضاعها .

فوجد فيها نفسه وأفكاره ورؤيته ، وحسه الحميمي ، وفقد ذلك كله في لحظة !

***

دمعة رحيل هو .

تحتشد اللحظات والمواقف وأصدق الكلمات في حدقتيه .

ثم يواصل السفر . كأنّ الملامح دوائر صغيرة ..

على سطح البحيرة .. تتسع وتتسع ثم تتلاشى !

كأن أصداء ما سكن إصغاؤه يصطدم بالشمس وبالنجوم ..

وبتعاقب الليل والنهار .

باليوم ، وبالأمس .. وليس في الغد مطمع ،

لكنه مدعوٌ بالضرورة للوقوف وللترقب .

في انتظار فرصة التعرف على الغد الذي سيرحل فيه بكل غربته .

الغد .. كل آماله : أن نواصل الوفاء للأنبل وللأعمق !



ملل .. ملل





أفرش صوتي في المدى البعيد ..

فلا يرجع اليّ !

أرفع عقيرتي في لحظات ملل ..

فيحتبس فيها الصراخ !

أنقر على ضلوعي بأصابع باردة ..

فأخال أنني بلا ضلوع !

ويسألني مسافر مثلي : هل أنت حارس على الأصداء ؟!

وأسأل الكثيرين : وهل أنتم تتحدثون بلا رنين ؟!

ولكن .. نحن في مسافات السفر ،

وفي مساحات الشوق ،

نحاول أن نجد الصدى لخفقنا ، ولخطواتنا ..

وللأعمال التي تبدأ كالاماني ..

ثم تتكثف أحياناً فكأنها الحريق !

ونعيد التساؤل مجدداً : هل الحياة خالية من الملل ؟!

***

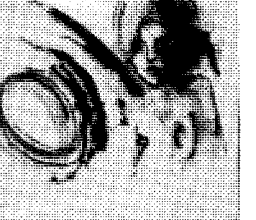
نحن نقول ، ونحن نسمع ما نقوله ..

كلماتنا المسافرة تنضج في النوى ..

وتهطل في الغربة .،
وتحنّ في مفاجأة الدروب ..
ولكنها تعود بلا أصداء !
نحن نعتقد أننا قادرون على الحب ..
وأن أحاسيسنا تغني فيمن نحب ..
لكن اعتقادنا أكثر الأحيان يرجع بدون الذي أحببناه ..
فالانسان قد تمرس الحزن ، والحزن لم يعد في الحب ..
الحزن في العيش ..
الحزن في الرؤى ..
الحزن في الأماني ..
الحزن عن الذين يهدرون الحب دائماً !

***

إنه الملل ..
هذه البقعة التي تفترش الضلوع .
حتى في لحظات العناق ، وفي نهدة الذكرى !
الملل ..
فقد أصداءه هو الآخر ..
ملل بليد تافه ..
أصاب الملل كاتبة انجليزية ذات يوم فقالت :
ـ « لو كانت عندي رقبة واحدة لقطعتها واسترحت ،
ولكني أملك عشرات الرقاب ..أقطعها كل يوم وأنام بعدها،
وأنا أبكي على دموع القراء » ..



وهذا هو الوهم السعيد الذي يعيش فيه كل فنان !!

لقد سئم الإنسان نرجسية عواطفه ...

ضار ما في نفوس الناس ازاء التصرفات هو الاسقاط ..

لكثرة ما تعاني النفوس نفسها من القرف ، والحياة تتحول من شعور

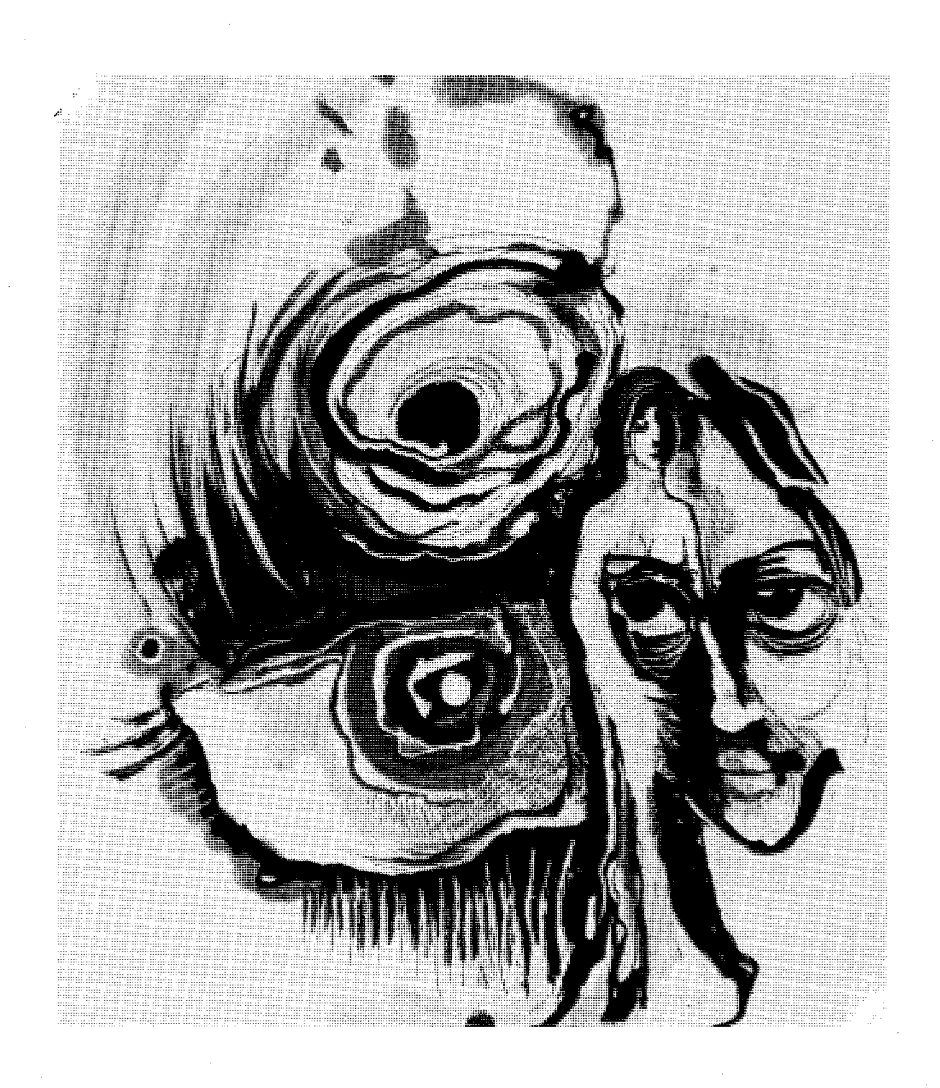
او من محسوس إلى أي شيء ملموس ..

وإذن ..

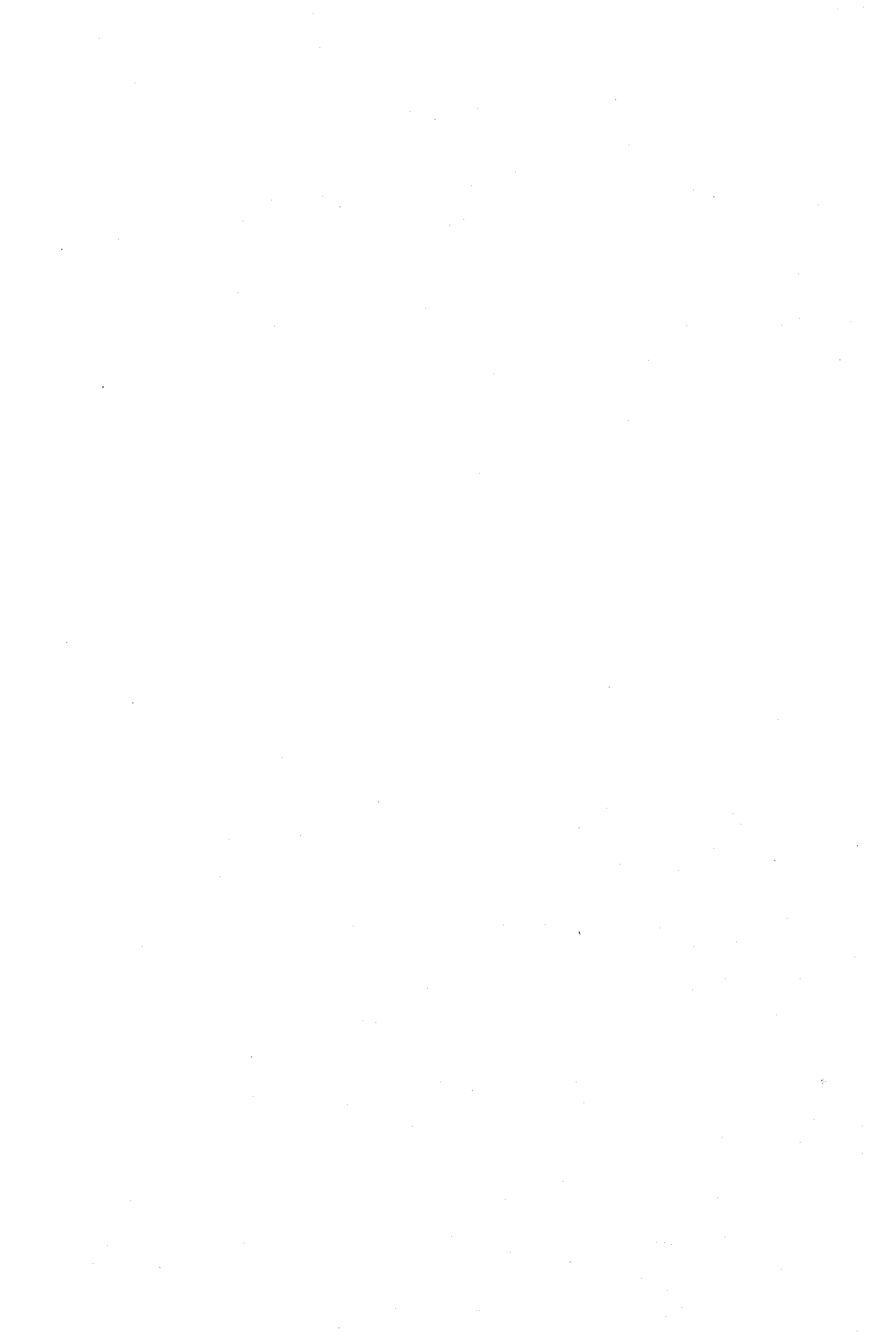
فلا داعي لأن نحول نبضات قلوبنا ..

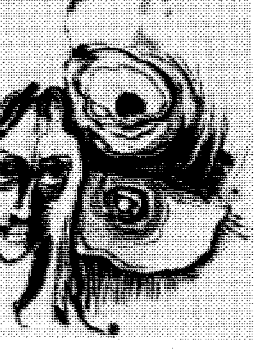
إلى بقالة معلبات !!





بين المسافة والظل





ما أسرع ما تتحول الكلمات ..
إلى حجر يهوى في النهر !
هل نحاسب أنفسنا على ما نقوله من كلمات .
هل الكلمات هي التي تحاسبنا ..
على وضعها في المكان غير المناسب لها ؟!
العالم يطفح بالكلام ..
والانسان يتوعد زمنه ..
ويفقد زمنه !!
لا شيء يحتفظ بتخومه ،
وكل الذي بين شفاهنا كلام فقد معناه .
إننا نحلم بالكلام ،
ونتعاطف بالكلام ،
والكلمات تحولت إلى حجر يهوى في النهر !

***

أمس .. قال لي شاعر كبير :
ـ إنني اتحرك بين المسافة والظل ..
حتى شعري يصبح بطاقة خبز ،
وهوية معدة .



فأنتم لا تعطوننا كلمة .

وإنما كلاماً يكثّف الغثيان ، ويدمي الشعور !

* * *

أمس .. قال لي مطرب ..

ميزته الوحيدة أن صوته جميل :

ـ إلى متى أغني كلمات الأسى والبعد ،

والفراق والغربة ؟!

صوتي « دجّنته » هذه الكلمات .

فأصبح شيئاً كالدموع ؟!

***

أمس .. قال لي صديق أحترمه :

ـ كل الكلام الذي في رأسك ..

هو ـ في اعتباري ـ بين قدمي !

ولم أحاول أن أجعله يستطرد ،

فالكلمة سلاح المناطقة ،

وسلاح السفهاء .

والكلمة علاج المجروحين ،

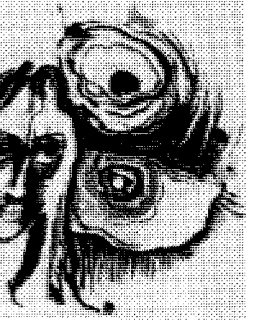
وجرح الذين يشف إحساسهم إلى درجة الالتزام بمعناها !

***

منعت الكلام فوق شفتي ..

حريصاً أن لا أفقده من أجل كلمة قالها واحد مريض

بالسأم ،



الباحثون عن اللقمة بالكلمة .. يتناسون عهد
« الطربادور » ..
الشاعر الذي جعل الكلمة نغماً ناطقاً ..
فوق صدر الجيتار ..
ذلك كان يعني المزج بين اللقمة والأحساس .
أما القاتل حقاً :
فهو ان نفصل الاحساس عن الكلمة ،
فتصبح الكلمة لقمة نأكل بها ،
ونتطلع إليها حجراً يغيب في القاع !..
وما الشعور يكون ...
إذا جاء شاعر فرصده كتمثال ؟!

***

أمس : قال لي موظف مرموق :
ـ لقد سئمت من قراءة الكلمة ،
إنها مرمدة باهتة ..
لا روح فيها ولا طلاء ..
وهي مكتظة بكلمات ملطخة بالدم ..
بكلمات تتحدث عن الحرب والسلام المفقود ،
الكلمة لم تعد رائعة .
الآن .. الشتائم تروّج ،
والحقد يتنفس ،
ويغيب وجه الكلمة الانسانية ..



وهو يعاني من اضطراب عاطفته !!
كثيرة هي الكلمات التي تتحول فوق شفاهنا ،
وداخل أسماعنا إلى حجر ..
يتدحرج ببطء ،ويهوى في النهر .
ولكن ..
نحن ضعفاء أمام شفاهنا وأسماعنا ،
والكلمة مخاض ..
مهما كان المخاض !!



المغامرة .. والمقامرة

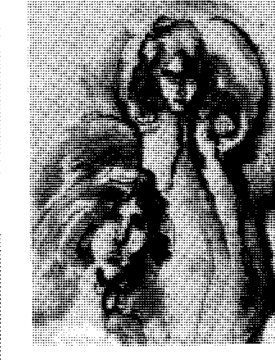




الخوف أعطى الانسان شجاعة النسيان ،
وأخذ منه صبر التذكر !!
والدهشة ..
أخذت من الانسان قدرته ،
على أن يفهم شيئاً مما تشكل كمعاني ،
وكخطوة وكمحاولة .
وأعطته الذهول الذي يمتهن أحلام الانسان ..
في العثور على الحقيقة !
فليس للانسان المعاصر .
إلاّ عربدة النظرة التي تدور حول نفسها ،
وإلاّ ضجيج ما يسمعه في أذنيه ..
ثم انهزامها حينما يرتدان ..
كسيحان بلا لون !

***

إننا لا نريد أن نرمي ظلنا على الشمس ،
وننهر الغربة ..
ليس لدينا الوقت ..



لكي نسخر من خوفنا بالدهشة ،
وإنما كل الوقت .
هو أن نحسن رؤية ما حولنا ،
وما يدبر لنا ،
وأن نتعرف على الحقيقة ، ونعترف بها !
ان النظرة لمعنى أن يكون الانسان هو عصره ..
نظرة مليئة بالضنا ،
وبالاعتراف لأشياء رديئة ،
وبتسلقٍ نحو الأتصاف بأنصاف الحلول !
إننا ـ كأنسانيين ـ
نحن أيضاً جماعة انسانية في كل هذا العالم ..
الموحد بالالم .. المنشرخ بالغربة .
تطحننا الحروب النفسية ،
والحروب الدموية ،
وتسلّط القوة وامتهانها لكرامة المرء ،
والتفاهة العاطفية ..
ويضيع الانسان في الاشكال الصلصالية ..
التي يصنعها وقت الحاجة ،
ثم يعجنها من جديد ..
وذلك يعني :
ارتكاب الحصول على الأشياء الرديئة .
بأمل أن تصبح جيدة !

***



فكيف ـ اذن ـ
نخلص واقع الانسان من الأشياء الرديئة ،
ونصل به إلى الأشياء الجيدة ..
تلك التي يوحد بها ما بين رؤيته ومشاكله ..
بين قدراته ومحدوديته أو عجزه ...
بين ما يستطيع أن يفعله ،
وما لا يقدر على فعله ؟!

***

لقد تعارفا في الانسان ـ الخوف والدهشة ـ
ولكي نتمكن من الاجابة على السؤال المطروح :
ـ نستطيع .. او لا نستطيع ؟! ..
فلا بد أن نعثر على ما بعد الدهشة :
على الرؤية التي تعطينا وجه الحقيقة ،
وفعل القدرة . والحقيقة تتجسد دائماً ،
في الوجه الواحد ،
ولكننا بعدة وجوه !
وتتجسد في تضامن متكامل ..
يفعل الخطوة المتحدة المتقدمة إلى سلام العالم وأمنه ،
ولكننا في تمزق وتلاحي !
وفي صراعنا مع الخوف ..
نمارس احدى الخطوتين :
اما المغامرة ، واما المقامرة .



فالمغامرة ...

صراع مع الخوف حتى الرفض له ..

والمقامرة ...

طواعية للخوف حتى الموت فيه !!



فى انتظار الفرح دائما





المساء متوقف ..
أفرط في تشذيب غرور الساهرين ،
وأشاح عن هدهدة الذين يمضون الليل .
وحدهم في إنتظار عودة النفس إليهم .
وتنسحب عقارب الساعة ..
إلى كل مكان ملىء بالزحام أو بالضجة ،
أو حتى بالتأمل والتحديق .
فيركض الوقت ،
ولكن هذا الوقت يبدو بليداً ..
ثقيلا كزجاجة طافحة بالرمل .
حينما يبقى الساهر منقوعاً تحت النجوم ينتظر !
فماذا ينتظر ..
هذا الانسان الساهر وحده ؟!
عن عصا الساحرة في حكاية « سندريللا » ...
وقد أضاع كل إنسان عيونه في الوقت الذي كان يفتش فيه ..
عن « مقاس » حذاء تلك التي تواجدت في الهروب دائماً !

***



لقد أصبح الكثير في هذا العالم :
يركض حافياً ،
ويفكر حافياً ،
ويحب حافياً !!
فهل كان ـ اذن ـ
ينتظر عودة الايقاعات ..
إلى الحاسة في اذن « بيتهوفن » بعد موته ؟!
لقد انتشر « النغم » .
أصبح النغم موجوداً في ألعاب الأطفال ،
وفي قرعات طبول الحرب ،
وفي الانقلابات العسكرية ..
مثلما هو موجود في مشاعر الساهر .
وحده تحت نجمة ..
يترقب عودة « جودو » !!

***

أم ينتظر « مطر العمر في توهج المسافة » ..
بينما المسافة أصبحت هي القدر المكتوب ؟!
يبحث عن التوهج ...
فلا التوهج يتفاعل ،
ولا الغيث ينهمر ..
لكن العالم كله مجلود بالقوة ..
مسفوح بالصدمة ..



متمنطق بالخوف من نفسه .
الانسان لم يعد هو هذا العالم ..
بل الانسان يبقى في داخل العالم .
محكوماً بالمصالح ،
وبالضربة القاضية !!

***

في انتظار الفرح ..
تتوقف ريشة الرسام ،
ويجف حبر الشاعر ،
ويبح صوت الشادي ،
والوقفة بعد منتصف الليل ..
لعل هذا الانسان يعترف : أن الناس يزرعون احتجاجهم
في حدقتي عينيه ،
ويديرون ظهورهم ..
وهو لا يملّ إنتظار الفرج ،
وإنتظار الحقيقة ..
أو يستغرق في مزيد من خرافات الجبل الذي يلد فأراً
للعالم !

***

لعل الانسان يكتشف ..
أن فكرهُ مدعوّ إلى الاقتناع ..
بضرورة الاقتران بخاطرة وهمية ،



أو بعبارة متروكة من قديم الزمان ..
حتى يستطيع أن يرتاح !
لعله في إنتظار عروس الخرافة ..
كما تلك الملامح التي رسمها مرة الفنان الفرنسي « بول جوجان » .. لفتاة من تاهيتى ،
فأعطاها عصير إحساسه ،
وسكب فيها فنه ..
لكن دائنيه استطاعوا أن يقهروا ذلك الفيض ..
في نفسه ومن وجدانه ،
وباعوا تلك اللوحة في مزاد علني بمبلغ سبع شلنات !..
وفي ذلك المساء المتوقف .
بعد سرقة لوحته الأجمل وبيعها بالبخس ..
سهر حتى الصباح ،
فاذا أمامه لوحة أخرى رسمها .
لوجه الفتاة ذاتها ..
حشد فيها ألمه وفقده ،
وأعطى منها تعبيراً جديداً :
فقد رسم وجه الفتاة ،
وترك هذا الوجه بلاعينين ..
فكأنه يقول :
أنتم خسرتم أثمن شيء في الانسان .
وأهم شيء ،
وهو الرؤية ،



وستكون هذه اللوحة .
شاهداً ضد ممارستكم للبخس في الحياة !

***

والعين تبقى هي « التوضيح » المطلوب لأية ملامح ،
والعين تعني الرؤية ،
وتعني البعد ،
وتعني العمق ،
وتعني أيضاً : دفقة الحنان !
تعطّش هذا الانسان إلى عين « نفسه »..
إلى تلك الاستكانة المنسرحة خلف صورة الأمل ،
أو الاصرار على المحافظة على الحب ..
الأنبل والأنقى ..
يصبح هو الخفقة ،
والانتظار ،
والوعد في أماني الانسان ..
برغم تحديد « وظيفة » الانسان في الحياة !!





حكاية عند الفجر





يا صديقي المتباعد :
كأنك توقظني من غفوة .
لا أعرف متى كان إبتداؤها !
كأنني في أصداء ما تركت لي من كلمات وتحريض ..
أفقد الدروب وأتشرد ،
فذكرتني بالجنة والنار ..
بالحب والضنا ..
بالتعاسة ، ودفء الاحتضان !
فكّر الانسان ـ وما زال ـ في مواجهة الأشواك ..
لكن هذا الإنسان فينا ينشغل بتنظيف قدميه ،
بينما الأرصفة منثورة بالأشواك .

بينما الصدور مبثورة بالأشواك ..
وهو يسرع الخطى ..
بينما داخله يحتاج إلى تنظيف !

***

حكيت لك مرة :
أن « سنونو » صغيراً .
أراد أن يختبىء في حضن حمامة .



أغراه منها بياضها الناصع ،
فكان عليه أن يقنعها أنه « سنونو » ،
وإنه يحب حضنها ، ويهدأ فيه ،
وما زالت نظراتنا تتابعه وهو يقترب من الحمامة ..
ثم تركناه بعد ذلك لنتساءل :
ـ هل يستطيع اقناعها ..
ـ وهل توجد مشكلة ،
ـ أم أن أكثر مشاكلنا أسبابها الخوف ،
أو التردد ، أو عدم الثقة ؟!
(حتى لو كان الخوف من النصاعة) !!
كنا نضحك في ذلك الزمان السهل ،
ولم نكن قد فكّرنا بعد ..
في قدوم الزمان الصعب !
وكانت خطوات الليل تأخذنا .
إلى أوجه عديدة من الفلسفة ..
عن الاقناع ، والاختباء ،
والوفاء ، والملل ،
والاكتشاف ، وهرم العاطفة ،
ثم يكون ذلك الضحك الساقط ..
في بقايا فنجان القهوة !!
وخرجنا مرات لنعود ..
هكذا كل مرة كانت تعبر الذكريات فيها إلى عقولنا ،
وتنفذ من صدورنا ..



مختبئة في فلسفة التخلي عن كل ما فات ،
والجري وراء أكثر ما يلوح ..
حتى ولو وجدنا سراباً !
كان الزمان واحداً ..
فأصبحنا عدة أزمنة في رغبة واحدة !
ودائماً يتحدث الناس ـ يا صديقي ـ في الذكريات ،
ولم يكن حديثهم مللا ،
لكنه الهروب إلى الحلم الجميل ..
حتى ولو كان اجتراراً ..
حينما يتجسد .. يذكّر الانسان بالمد والجزر !!

* * *

ذكّرتني بتلك العبارة التي رددناها معاً ذات مساء :
ـ « ما أكثر الذين يرددون أغنية متوحشة ،
وأكثرهم روعة في الاداء والانسجام :
درويش متجول ينام على رصيف الحياة ..
يرى أن الحياة لا تستحق الادراك الكامل ،
وقليل جداً من الادراك ..
يكفي الانسان زاداً لاجتياز هذه القنطرة التي أسمها الحياة » !!
إنهم يرددون الآن ـ يا صديقي ـ أغنية متوحشة .
وأنت أصبحت مثلهم تردد ..
نفس الأغنية المتوحشة !

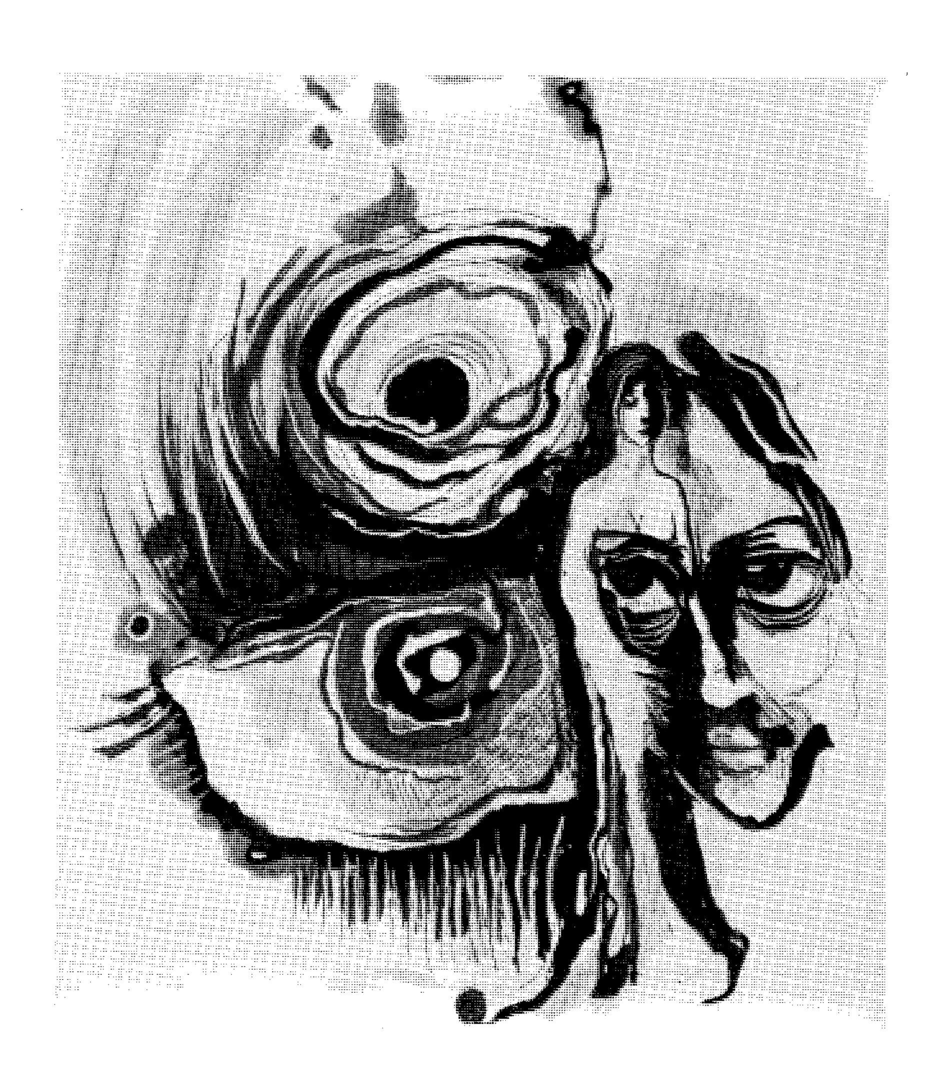
* * *



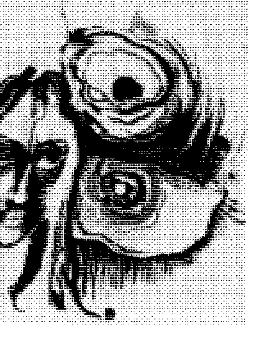
حقاً ـ يا صديقي ـ
لم أنس الزمان لذي إبتكر فيه شاعر « قصيدة لا تموت » .
فمن الذي وجد زمنه ،
ورضي البقاء درويشاً متجولا على أرصفة الشوارع ؟!
حتى الشاعر نفسه المازال يتغرب ..
يتمرغ في شجنه ، وكأنه قد خرج تماماً من زمانه .
واختفى في أحراش الحياة !

* * *

حقاً ـ يا صديقي ـ
ان الحقائق لم تعد تهم ،
والحب لم يعد يهم ..
المهم الآن هو الموت ..
ذلك أن الموت في عصرنا ..
أصبح هو الاختيار ،
وهو الاغنية المتوحشة ..
هو ـ يا صديقي ـ أوان الطلوع والاقتحام !!



الظل المكسور



كنت أتمدد أحياناً كالظل المكسور ..
فلا أقدر أن ألّم نفسي ..
فالانسان هو ما بين تمزقه بسبب أن يكون وحده في هذه
الغابة الأنيقة
ـ الحياة ـ
وما بين لحظات التفاهة (الواعية) أو التفاهة المثقفة ..
فأغلب الأشياء التي ندور حولها، وتدور حول العمر والجهد ..
ليست إلا صغائر الأشياء .. أما أشياؤنا الكبيرة والحميمة،
فهي تلك التي تبقى في الصدر .. تحرق وتحترق !
نحن لا نهرب من شيء ..
نحن ننغمس في كل الأشياء التي تسكننا ، أو تَعْبُر بنا ..
مسافة الحياة قصيرة في الحلم ..
ماتعة في التخيل ...
بخيلة العطاء ،
والخطر الرهيب أن يحاول الانسان تفريغ أعماقه ..
فالضياع معناه ليس التبديد ..
بل الأقسى أن يكون الانسان في الوجود كله ليكون



الضياع والتمزق ألماً .

فالوجود هو إحساس بهذا الالم !

***

الجميع في ذاتي يدور على أعقابه :

أنفاسي ، ونبضي ، واختلاجاتي ، وزوايا المساء المتشح بالضباب ..

وأراك في كل هذا ـ الجميع ـ

واقفة فوق أوجاعنا أنت وأنا ..

وفوق قهقهاتنا التي نبتكرها عندما نريد الهرب من بعضنا البعض ..

أراك تلمّين كل زخمي وانفلاشاتي وهتفات صدري المنثورة

في طول الزمان !

هل أحسست هذا الظمأ الذي يبدو أقوى من الماء ؟!

وهذا الشوق الذي يبدو حارقاً ونحن نراقب انحدار الزمان كله ؟!

ـ فكأنني سمعت من يقول لي: يا أيها «الشيخ »العجوز ..

وكأنك تسمعين من يقول لك :

ـ الى متى وحدك ؟!

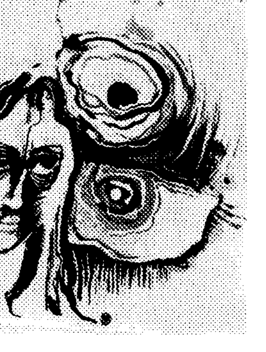
ثم لا بد أن نتعاطف مع ملل أبنائنا منا بعد ذلك !

* * *

كأننا الجنون المسكون بهزائم الناس ..

أولئك الذين انتهوا من الحب إلى ممارسة التناسل ..

أليست أفكارهم مصبوبة في فكرة :



الأفق يقتاده التعب ..
أفق الانسان ..
وأفق الشعوب
وأفق الغد
ليتني ـ اذن ـ أتصاعد إلى وجهك ..
كل الوجوه في عيني وجهك ..
كل يوم يأتي يغيب ..
كل يوم لا يأتي يغيب أيضاً ..
ونحن في هذا الانفصام أشرعة رحيل لا تقر داخل ميناء !

* * *

لم أقل أننا أصبحنا قصيدة ..
تتجاوز المدارات والطقس لتغيب أصداؤها دوماً في
(سحبة) الكمان ..
أو رنة الجيتار ..
أو بوح ناي يسيل شجى ..
أصبحنا أصدقاء في قمة جنون العشق ..
وكنّا عشاقاً في قدرة الصداقة على الارتفاع فوق التنكر ،
أو فوق النسيان الحضاري !
كأننا ـ في رحيل الاشرعة المستمر ـ :
أنت نبتة صبار صامدة ،
وأنا الارض التي أقحل وأعطش ..
ولكنني أضمك باصرار !

* * *



استمرار الحياة بواسطة الانجاب ؟!
الصعب ..
أن تستمر الحياة اليوم بواسطة الحب ..
فلم تعد أسماك القرش تلتهم الانسان ..
بل الانسان هو الذي يلتهم الانسان ، أو نفسه !

* * *



الستار



مــن أنــت ..
يا زمناً منتصباً في ساعات العمر :
حاداً كالشفرة ،
مقوّساً في جماجم البشر ..
كالظهر الهرم ؟!
ما معطياتك ،
ما مطالبك ،
ما سحنتك ؟!
أنت كبريت يشعل الغبار ،
أنت بارود يقتل الأرواح .
أنت استسلام يصير خارطة مغامرة .
أنت التناقض والاتجاه ..
الآتي فينا ،
والآخذ منا بذور الصباح !

***

ما هذه القوالب العصرية الجديدة .
التي تستعيد سلوك إنسان اليوم ..



تجعله خرافياً وهلاماً .
تجعله حجة ضد الحضارة وانفصاماً .
تجعله البوم الناعق ،
والطير المذبوح بشعاع فجر ؟!

***

إلى أين يركض العالم ..
يجرجر ماشّيده .
يهدمه ويتقوض داخله ،
ويصرخ طالباً الرحمة ؟!
إنني « مسخسخ » من الضحك لسبب تافه :
لأنني من أسبوع لم أضحك ،
ومن الضروري أن أضحك لكي أنتصر على الضحك ..
أما الحزن فقد أصبح غذائي الجيد !

***

إنني إنهيار عاطفي .
كنت سيد البال ،
فدَخَلتْ التواريُخ وتعاقب الأيام خاصرة شوقي .
إنني جنون الأوراق البيضاء في العاصفة ..
وحشة الألوان في الظلال .
إنني « الخرفشة » والسكون .
طفل يعطس ليتفرج عليه الوقت .
وهو يفعل هذا .



كوخ مستقر فوق صفحة الماء ،
ولا داعي للخروج منه !

***

أرى الأفلام السينمائية فأصاب بنوبة قهقهة .
إن « راكيل ولش » كانت تضحكني هي الأخرى ..
لأن شفتيها صغيرتان !
أمسك أمعائي عندما كنت أشاهد قبل سنوات :
« بيتر سيلرز » في دور الأبله الذي يعرف ما يدور في نقطة وقوفه ..
يضحك ليغيظك ،
ويمثل دور المتورط دون أثر للتورط !

***

أمتنع عن سماع فيروز .
لأنها ترهقني ..
تعيدني إلى أعماقي ،
فلا داعي لذلك ..
لأنه لا أحد ينتظرك ،
ولا شيء يثبت في مكانه .
ان الجنون لم يعد عظيماً لأنه أصبح سلوكاً !

***

وسيزاح الستار ..
وأنت في صفوف المشاهدين ،
فتقفز إلى خشبة المسرح لتؤدي دوراً تمثيلياً ،

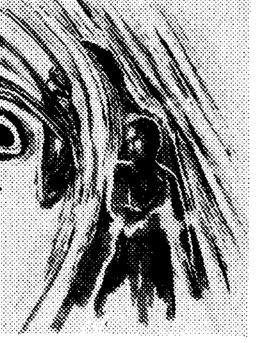


وتصفق لنفسك .
حتى الحروب اليوم ..
هي لا أكثر من قفزة إلى خشبة المسرح ،
ويسود الصمت بعد ذلك ..
كأنه راحة العالم كله ..
كأنه شمس تلبس قبعة !!
فينبغي لك أن تكتشف باستمرار ..
دون أن تريد ذلك أو تهدف إليه !!



هذا المساء





يا حرف الليل المضيىء ...
يا رجعة الموّال ..
في أمسيات إنتظاري لهمس الروح ..
أتشهّى قرارة مدارك .
أستكنه ضوعك .
أنادي خدرك في أكناف هذا الصمت المتولع ببوحك .
أشرب نبضك دفقاً يعيد الحياة ...
إلى المسافة التي تنوح وأنت بعيدة .
ماذا فيك يا سطور الليل ..
ألم يحن زمن هطول المطر من إبتسامتها ؟!

* * *

هذا المساء يومض بالضياء ...
البريق يستحيل نسمة ،
والهواء دورة النبض في صمت الليل ،
والنجمة وجهك في تحديقي .
آتٍ أنا إلى البراري المفتوحة .
في إنتظار مواسمك ..



هنا .. نجمة تكبر فتصبح قمراً ،

هنا .. الحنين يتحول خطوة ..

تجمع كل الفصول في همسة نداء لزمنك الآتي .

أرى سأمي الذي عانيت منه في غيابك ..

وهو يحتضر الآن في حضورك .

* * *

بلا ساعة أتعرف على زمنك .

شراعك يبدأ مسيرته في بداية المساء ..

حتى يصل بي ..

مدن العصافير المتجمعة في لقاء ثنائي .

وحدنـــا ..

والحب يصبح بيتاً ،

ومدى ، وعمراً جديداً .

وحدنا ..

ونجتاز نهايات القصائد الشَّجِنة .

رؤوسنا تهب من داخلها الرياح الشمالية ..

كلما أخذنا التفكير مع أحلامنا ...

في التوحد والتكامل .

صدرنا مرتع النشوة ..

التي اشتاقت للغناء ، وللفناء في الروح !

* * *

وراءنا .. خلّفنا منحنيات النوى .



ولدينا فكرة البلوغ ..
حتى ملتقى الشكوى وانبجاس الوجد .
لدينا .. ألف مستحيل شيعناه ،
ونشيّع ما تبقى من عجز ..
لنعبر من فوق الشوك ..
ونبلسم جراح العمر الراحل !

* * *

هذا المساء .. هو ميلاد الأمان ..
أراه حناناً ينسكب نظرة من عينيك ،
وأسمعه شوقاً ينتشر من صوتك ،
وألمسه دفئاً يوقظ في كياني حركة الزمان ..
وانتباهة العشق .
كلماتك : تلف عمري ..
حتى أصبحت أيامي في الرجاء .
كلماتي : تنطق الأشياء ...
هذه التي تعود بي إلى التفاؤل والأمل ..
إنني أحتوى أمانيّ كأنها طبيعتي .. فأنا أحتويك .
فما أجمل أن أغفو الآن تحت جفنيك ،
وأن تستيقظ أنفاسك فوق وجهي !

* * *





أنت وحدك





أقول لك في الزمان الجديد ..
بكل الحنان القديم المتواصل :
ـ انت السطر الأهم والمضيء ...
كتبه الحب .. في دفتر عمري !
أقول لك في لحظة قراءتي لعينيك :
ـ (أتركي الأسئلة ، وسافري حيث تقودك عيناك .
ليكن سفرك السيف والثمر ..
ليكن سفرك ومض الحلم في عمري ..
ليكن سفرك موج البحر الذي يسافر إلى نفسه) ..
فأنا نفسك ، وأنت نفسي !

* * *

أطلب منك خفقة تتوحد ،
وتشتعل بصوتك في إصغائي ..
خفقة تتكلم لأول مرة بنبرة ،
وتبوح في طول الزمان بهمسة !

* * *

أقول لك في لحظة إغماضة عيني لأراك أكثر :
ـ ليس بين لون الزهرة والذبول إلاّ مسافة ساعات ..



إنها تهرب من عشاقها لأنها بالغة الحساسية .
ليتك تعرفين « كم هو جارح سيف اللون » ...
هذا الذي يتغير بسرعة في الشمس !
(كم هو مخيف ظل العصفور وهو وحده بلا أليف ..
حينما يرحل قبل أن تغيب الشمس ، أو تجيء الريح) !

* * *

أقول لك في لحظة اختطاف النظرة ...
من عينيك إلى عينيّ ، ومن عيني إلى عينيك :
ـ اراك زهرة الجنوب في بلادي وهي تطرح الفل .
أراك زهرة الغرب التي ينبعث منها عبق العمر كله ،
ولا ريشة تعطى شكلك .
أنت صفاء الصمت ،
ونقاوة الدمع ..
وحنين الشوق ،
في ابتسامتك صبح قادم دائماً .
رويت لك كل شيء :
عواطفي . أحزاني . متاعبي .
قدراتي وسخريتي ..
كل حبي المتقطر في عمرك ..
الهاصر لعمري .
رددت كلماتك كالدعاء ، والنجوى ، والتعبد .
وعشت معك في الأحلام والتأمل ..
في الحقيقة والحصيلة ..



في الخفقة التي تكبر في الصدر حتى تحولت الى صوت ،
وتعلو ... حتى أصبحت همسة !
أغنى لك حداء عاشق في صحراء :
(أيوّه .. قلبي عليك التاع   ما يحتمل غيبتك ليلة
معذور لو صرت بك طماع   ....) !

* * *

أنت الحاضرة وحدك .. ويكفي !
أنت الخيال والشعر ،
أنت الواقع والبراءة .
أنت المحيطات ..
كل حزني يسحبني من يدي إليك لأمتلك الفرح بك ..
أنت الأفكار والأزهار .
يا مطر الارض والعطش والورد :
خذي يأسي من قلبي وألقي في القاع ..
وخذي قلبي من صدري وذوّبيه بقلبك ..
ليكون لنا الاثنان قلب واحد فقط .
نحب به معاً ،
ونجّن به معاً ،
ونموت به معاً !

***

كنت أقول لك في لحظات البعاد :
ـ حاولت إغتيالك بالتناسي ..



لكن صوتك كان يتبعني ..

ووجهك يخرج من كل مكان أذهب إليه ..

« ينتظرني .. يسبقني .. يحتويني ..

فأنت في حشاشتي مدى العمر » ..

* * *

أقول لك في لحظة إيماني بك قدراً بدّد عتمة عمري :

ـ أعرف كيف أتأملك جيداً ،

وأدعك تتأملين وهجي وانكساري في ضوئك .

أعرف كيف أجعل أشياؤك الخاصة جداً ..

تترقب مجيئي إليها ..

مثلما تترقب فراري منها .. إليك !

* * *

لم يعد ما نحسه في العمر وجداً .. أو شجناً ..

أو تحديداً لمعنى العلاقة الانسانية ..

صار ما نحسه أكبر ..

صار القلب فينا واحداً .

يسكن التوق ولا يموت !



بعدك ...





بعدك ..
تمشي الارض إلى السفر !
وحدي وحشائش المطر ..
المازالت تموّه لهطولها خلف السحب ..
أمدّ جسراً إلى الفجر القادم ..
كلما انتصفت الامسيات بفراق همساتنا .
في صدري « همّ » الحكايات ..
التي خرجت من الزمان بلا نهاية .
وحـــدي ..
والليل الذي اجرده كسيف ،
وينتضيني كأنني « فلكّة » ..
وسط ميناء تُحشد فيه الأضواء ،
وتمنع السفن من الرسو فيه !

* * *

بعدك ...
ينتقل فؤادي من ملكية بيته ..
إلى الشواطىء التي تفقد ذاكرتها دائماً !
أتوسد الزمان المدلج في الذكرى .



وأرحل بكل الحنين ..
إلى محطات القطارات ..
كأن قلوبنا كما سدادة فلين على فوهة زجاجة ..
امتلأت ذات يوم بالقصائد ،
ثم نسينا أين وضعنا الزجاجة ...
وتركنا الشاطىء لأصداء الموج المتكسر في صمت !

* * *

بعدك ..
يبدو أن ما زرعه حبك هو تلك الأحزان المتواصلة ..
حزن البسمة ،
وحزن الخفقة ،
وحزن الفهم ،
ولكنك تبقين أنت اليوم ..
مثلما أنت الأمس ،
وقد تعب الزمان من ترجيع القصائد ،
فاذا الزمان سفينة مبحرة إلى منتصف البحار دائماً ..
محمولة على الموج الذي تبعد عنه الشواطىء ،
فيحطم بعضه بعضاً !
أبتكر لك اسماً من فرحي ...
من وجعي ،
من تفاؤلي ،
من قلقي .
من لياليّ التي حَجرتِ عليها في الأصداء ،



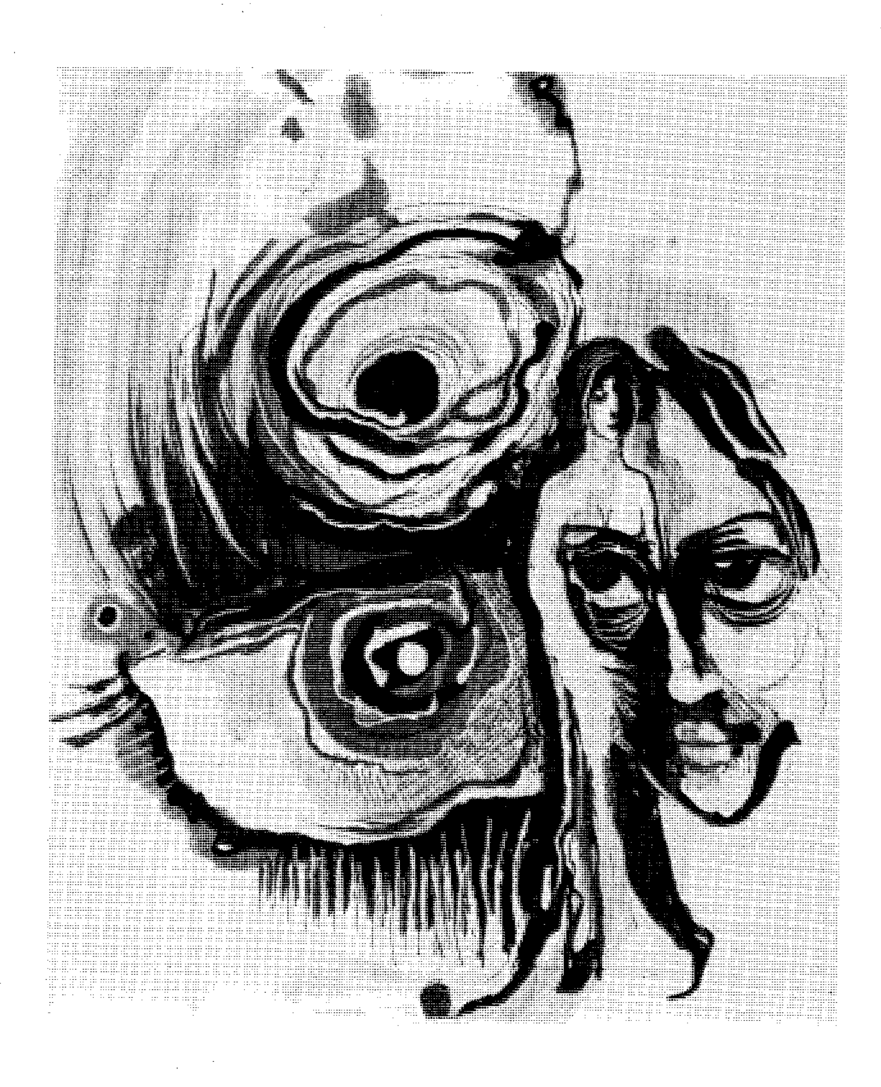
وهي ما زالت تنغل في شراييني كالرجفة .
ووجهك تحمله الرياح المتجهة نحو عواصم الغسق ..
وانتظار الالف عام !

* * *

بعدك ...
تطلع الشمس بلا ضوء ..
بلا عينين ،
ولكنها عمودية لا ظل لها ..
تعبت من « تصور » الأحلام في السرمدية .
تعبت من تعدد الابتكار لأسمائك ولزمنك .
صرت لغة الحنين الدائم ،
وكأن الخريف يأتي في الربيع ..
يحدث ذلك عندما نهز الشجرة بقوة ،
فالخريف طقس لا أكثر ،
ولكّن ما في نفوسنا هو أوراق الشجرة !
لا أنت ، ولا نبرتك عندما تقسو ،
فاذا هي كأنها المستقيلة من همس الشوق .
لا أنا ، ولا جنوني ..
هذا الذي يخون ع[illegible]ي وإصراري ..
على وجودك في داخلي ..
بل أنت وأنا معاً ..
قد بدّدنا إخصاب التعب .
لا أنت قادرة أن تحاربي امتناعاتك ،



ولا أنا بمستطيع أن أجعلك تنتصرين ..
على تعددك في أعماقي !
بعدك ....
دفتري يتيم .
فقد كلماته التي كانت ترضعه المعاني والبهاء ،
وهاأنذا أنبض ، وللحنين مرايا .
صرت توّاقاً ومنساباً ومنكفئاً على زهوري ..
لكن الحب يبقى شاهداً .
على الحياة في حديها المتناقضين :
حد الموت ، وحد العشق !!



ذلك المساء .. الساعة



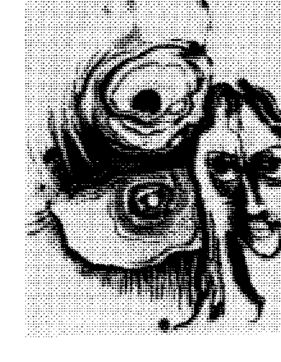


ذاك المساء ..
كان هو السفر الطويل محشوداً ..
مختصراً في ساعة من الزمان .
برّاق ذلك الزمان « الساعة » ..
كأنه زفاف الخفق .
كأنه قوس قزح بعد سحب متراكمة .
فجائيّ ذلك الزمان « الساعة » ..
كأنه الميلاد الجديد بعد الموت ..
كأنه المطر .. الذي انهمر على الجفاف ..
كأنه النداء بعد عجز الكلام !

* * *

ذاك المساء الساعة ..
كان هو الزمان الأهم في العمر المبدد ..
في الانتظارات المتعاقبة كالمحل .
كان زمانه الذي افتقده ..
كان الزمان الذي يملك الانسان ..
ويعجز الانسان أن يمتلكه !

* * *



ذاك المساء ...

كان هو السفر الممزق المؤقت ..

يفيض من ساعة في زمان ..

قاهر ذلك السفر في زمانها الذي عثرت عليه بالبغتة .

لا .. بل كان العثور على زمانها بالتلباثية ..

عندما ارتعش خفقها :

في أمسية أخيرة كانت تودّع فيها السفر المؤقت ..

لحظتها تذكرت زمانها وتساءلت :

- أين يكون الآن ؟!

هل يذرع الشاطىء المسكون بالغروب ..

على سيف بحر « جدة » كعادته .

يدفع خطواته كأنها شموع .

يشعلها للسمك الذي يلتحف الماء ..

كأنها خطوات الضائع ..

وهو يحسب أن كل حبة رمل .

هي أصداء سأمها ،

وهي أحياناً صخب ركضها ..

فهل يكون هناك ،

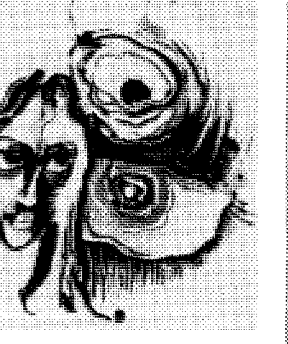
أم أن الـ « هناك » ..

في تصوره دائماً تبقى أنا ؟!

* * *

وجاء ذاك المساء ..

يدعوها أن تقفل حقيبة السفر ،

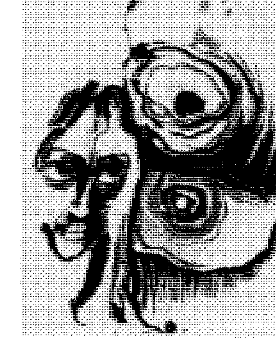


وتعلّقها على كتفها الحزين يتيماً ..
في بعده عن إغفاءة زمانها عليه .
كأن هذا هو الضياع !
ولكن .. لماذا تحس الضياع ..
وأضلاعها تزف كل لحظة إسمه إلى قلبها ؟!
إنه يأتيها دائماً عبر خفقها ..
يبث في هذا الخفق رائحة الحنين ،
وشظف الغياب .
يسكب في هذا الخفق مولودهما معاً :
الحب الذي لا يلتقي رغم أنه يتوحد !

* * *

ذاك المساء ...
كانت بعيدة عن الرؤية ،
كانت حميمة مذابة في رؤاه ،
تذكر زمانه وتساءل :
ـ ترى أين تكون الآن ..
هل توغل تخيلاتها في مفاوز التنهات ،
وتصعد « أجاوسلمى » ،
ثم ترتد شاخصة إلى الغد ..
ترى البعيد بعيني زرقاء اليمامة ،
ثم تتلفت في الاصداء من حولها ،
حينما يتصاعد « النغم » قادماً بنداءاته إليها ؟!

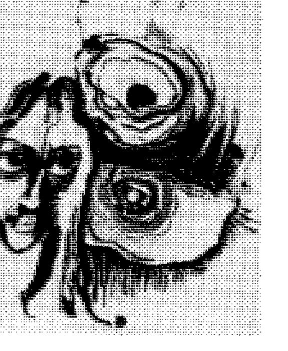
* * *



وجاء ذاك المساء ..
يدعوه أن يفتح حقيبة السفر .
في محطة الوصول المؤقتة ..
يتحسس كل شعرة تنام على صدره العاري .
في شتاء المدينة الاوربية الغائمة .
هنا فوق هذا البيدر الذي لا ينبت إلا اسمها ،
ولا يطرح ثمراً إلا عهدها .
هنا تمنى شعرها أن يسكن هذا البيت ..
أن ينزرع فيه نخلة صابرة على الظمأ !
إنها تأتيه دائماً عبر فراغ هذا البيدر ...
فيفيض بالحنين إليها .
ثم يغرق في الاطياف والأشياء الباردة !

* * *

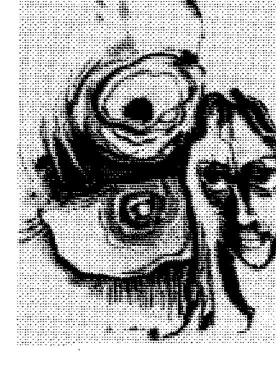
لم يمتلىء بأبعاد الحكاية .
كانت الحكاية .. مفاجأة العثور :
ـ هل أنت هنا ؟!
ـ هل أنت الحقيقة أم الطيف ؟
النغم أم بقايا أصدائه ..
الزمان أم لعبة الوقت ؟!
ـ أركض .. أدعوك ،
فلا وقت يثبت في الزمان الذي يمتلكنا !
ـ بل أريد أن أصلك ..
بعد ان أقشر من أذني مفاجأة العثور !
ـ لا وقت . الآ تذكر ،



انه ليس العثور بل رائحته !
ـ ولكني لا أريد الابحار المؤقت والمنفرد ،
أدعوك أن نبحر معاً ،
لنقتلع الشوق ونبذر مكانه التوق !
ـ أعدك أن أحمل معي هذا العثور .
وأنتظر إيابك .
ـ لا أطيق المساء بدونك .
لا يرويني المطر عندما أبقى أنا الارض التي وحدها ،
لا أرى وجهي عندما يغيب وجهك عني !...
سأحمل حقيبتي بعد ساعة ..
إلى ميناء مؤقت آخر ،
فلا تجعلني أضيعك !

* * *

ذاك المساء ...
هطلت الامطار بغزارة ،
تكاثفت السحب فكأن حبات المطر المنهمرة هي النجوم .
كان السفر ـ من جديد ـ
هو ساعة العثور ،
وهو ساعة الفقد .
هو زمان الوصل ،
وهو رحلة أخرى إلى موانىء الانتظار !
كان السفر ـ ما زال ـ
هو العهد الذي لا يفي ،



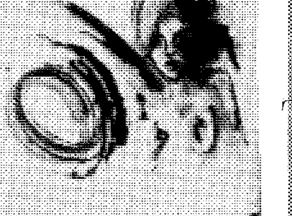
ولكنه لاينمحى ،
وتبقى حكاية « الدنيا الصغيرة »
هي التصبّر الذي يتذكره الفاقدون ،
ويلوّح به الذين يعتادهم الحنين ،
فينبعثون في النغم المهاجر !!

* * *



اقراص منع حمل الغد

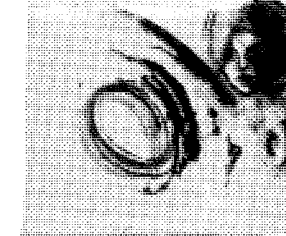




انني معترف ورافض لبؤس الحب في العالم ! ..
إنني أرث خرائط الحروب ،
وأعلقها فوق جدران التاريخ !!
إنني الانسان العربي ..
الذي حجزوا له ذاكرته في الماضي ، ونسيها ..
إنني البراءة ،
ونصوص العنف التي يمثلها العذاب ..
فوق مسرح العالم الكبير !
فكيف يجد الكاتب بداية كل كلمة ..
وهو يتناول أقراص منع « حمل الغد » ؟ !

* * *

قلبي على الشمس حينما تشرق غدا ..
فلا تجد من يراها .
قلبي على القمر ..
فقد ابتعد زمنه الى طلاق الحب !
لقد أصبح الوطن « شخصيا » ..
وأصبحت الأرض منابر للخطابة !



لقد تحولت الكارثة الى تاريخ ..
يرسمونه فوق طوابع البريد .

* * *

كل الكتّاب العرب ..
كلّ الشعراء ،
يدربون الكلمة الآن على بساطة الحزن ،
وعلى التسامح في العذاب .
الشعراء والكتاب الذين حلقوا بالكلمة ..
حيث بلغوا حدود القمر ،
وأخذوا « إمضاءه » عليها ..
يأخذون اليوم : إمضاء « بيجن » ..
وسعد حداد ، والمليشيات ،
والبحث عن الذات على كلماتهم .
إنهم يتوسدون قلوبهم ، ويموتون !

* * *

إنني الناطق ..
باسم وجدان التاريخ المعاصر ..
حروفنا فقد بكارتها ، فشاعت .
فقدت رونقها ، فشاخت !
حروفنا ..
كيان اللهب فوق مساحة الاغتيال .

* * *

التاريخ العربي ..
شطرنج في أيدي اللاعبين بالنار ،



والذين يطمسون المستقبل .
لقد عشقنا الكلمة ،
واستهلكناها ...
أصبحت الكلمة مهرجان نسياننا ،
ووراثة ذاكرتنا المثقلة بالصدمة ،
وبالمفاجأة ،
وبالعطر الرديىء !!

* * *

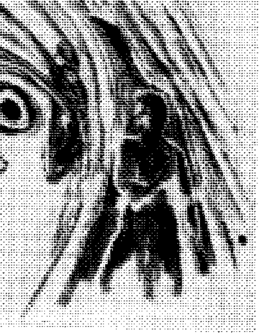
انني مستقيم .. مستقيم .
رأسي نافورة ،
وصدري وجار ..
وفي عيني الحياة :
ما بين الاخراج والتمثيل ،
والعالم ينطق بالممارسة !!
فهل الكلمة العربية ...
تحتاج الى مكبرات للصوت ..
ليسمعها العالم كله فيفيق •
ويعي ،
ويتلفت ؟ !
لقد صرخت الكلمة عبر الرصاص ،
ومن فوق الجثث ..
صرخت .. صرخت ،
وما زالت الكلمة المنادية بحرية الشعوب ..
هي ما بين التداول والتأثير !!





سفني مسروقة





إنني أستقبل الشمس كل صباح ..
لأن أملي يتسع ولا يتقلص ،
لأن الراحة أن أبحر في الزمان والخفق ،
فالمكان مساحة مؤقتة ،
لأننى أصبح شهقة الفرح ·· كلما غنى القمر للنجمة
التي تطارده !
إن كل يوم جديد هو حبي ..
أركض خلف الحنين ،
وتمتزج به آفاقى ومسالكي ، وهبي ، والابتكارات في تأملي ،
أشتاق أن أبكي بصمت ،
لتدق دموعي جبين الأرض ..
ولتختلط بمياه المحيطات ،
فتلد التربة زهرة لا تخضع لتوقيت الفصول ،
وتطلع الزهرة غدا جديدا للأرض والزيتون !!

* * *

كأن الفصول اتحدت واجتازت بي غربة الجراح ،
كأن الزوابع انهزمت وبدأت رحلة جديدة الى الميلاد .



وملأت صوتي نغما ،
وخرجت الى الحقول التي أحرقتها « الدواعي » .
أغني للشوك ، وللنوى ..
أغني للأمسيات التي غمرتها الأصداء ، وتجمد فيها التاريخ ،
وللنهار الذي يزحف بنا الى أخذ محدود ..
أغني بنبرة الحزن قائلا :
بعض الأشياء لا توجد أكثر من مرة واحدة في حياتنا !!

* * *

طائر .. يحتد بصره في الليل ..
ويكبر جناحاه تحت نجمة حرانه ...
هذا هو أنا الذي يرحل بحثا عن اللحظات القليلة بالعطاء المنهمر !!

نحن نرحل غالبا دون أن نعرف لماذا كان الرحيل ،
والى اين منتهاه ؟ !
الرحيل .. هو أن لا نعرف شيئا مما كان يروى جوانحنا ،
لأننا نرفض الا نعيش الصورة مكتملة ،
فأية صورة اكتملت ولم تصبح تحفة معلقة على الجدار ؟ !
إن اللحظات القليلة لا يمكن ان تنتهي من أجل أسباب كثيرة ..
بل نحن نخضع كل أسبابنا لتلك اللحظات القليلة ..
فالذي نأخذه ونعطيه هو لحظة صادقة ..



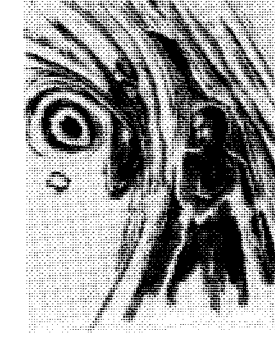
تضيع في عمر كامل مليء باللحظات الباهتة والكاذبة !!
إنني لا أطلب منك أن تعطيني كل شيىء ..
بل أطلب منك أن لا ترفض عطائي لك !

* * *

من الصعب أن تطلب من الآخرين أن لا يعرفوا شيئا ..
لأنك لا تقدر الا أن تكون « مرة » واحدة في الحياة !
ان الذي لا يوجد اكثر من مرة واحدة في حياتنا ..
هو الحب ،
وهو الموت والأرض !!
واللحظات القليلة الحافلة بالعطاء ..
وبالصدى هي خط الحياة ..
ونحن نهرب منها أحيانا ..
لأننا نخاف أن نفقدها فجأة .. ونبكى .. أو نموت ،
أو لا نستعيد الأرض .. وندفن فيها !!
إننا لا نخاف من الموت أبدا ..
لكننا نخاف من الحياة عندما نموت في الحياة !

* * *

وما زلت أواصل التجديف تارة ،
والسباحة تارة أخرى عبر المسافات الطويلة ..
والبحر يجف ..
العمر بحر شديد الموج .. شديد السكون ،
ولقد فقدت بعدك الشاطىء الذي ترسو فيه سفني المحترقة ،



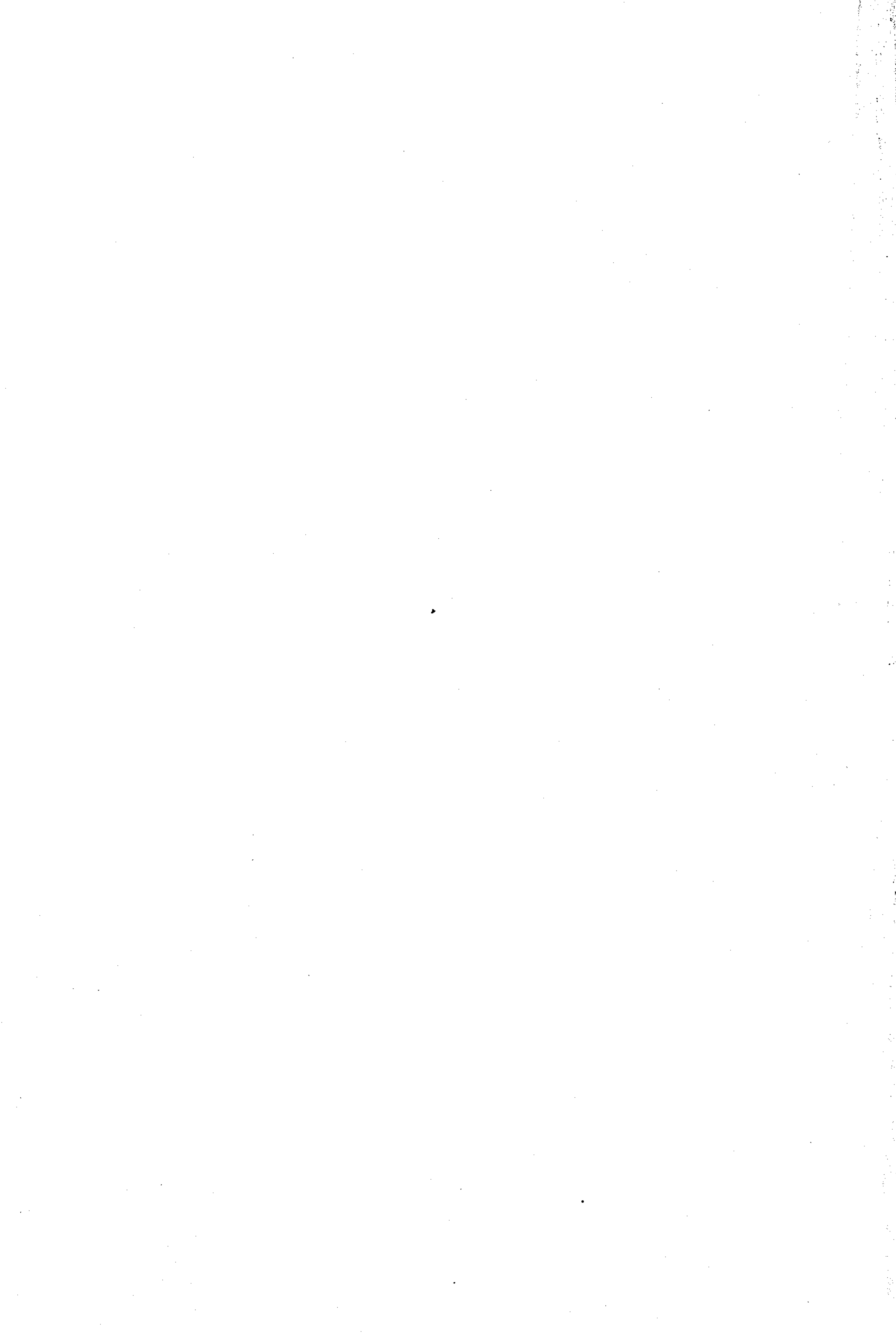
وسفني المسروقة ..
ولم يتبق منها سوى هذه « الصارية » المرفوعة بعناد ..
تواجه الموج ، وتتكلح بملوحة البحر !!
إنني أغتصب الفرح بالكلمات ،
وأخبىء لك في زوايا الحزن ألف ضلع ..
ما زال يخفق بعهدي لك .
أفتح أبوابي لدربك ،
وأرسم وجهك فوق الأشرعة المرتحلة ..
أرسمه فوق سيف المتنبى ..
أرسمه في ذاكرة المطر ،
وأعود منك اليك !!

* * *

أسوق الساعات أمامي وأرميها فوق الرمل ..
وأتقاسم معها الظل ، والفضاء ، وعطش الرمل ..
وما زلت أراك أصل ذلك الظل ،
ومساحة هذا الفضاء ،
والمطر الذي يسقي عطش الرمل !!
أي امتصاص يشرب صبري وينبت التنازلات ؟ !
أصبحت غالية أكثر ، ولا تدرين ،
وأرفضك وأختبىء في وجودك متعبا !!
ها أنذا أتقاسم معك الحياة والموت في البعد والقرب ..
ولد رأسي ألف فكرة وفكرة ،



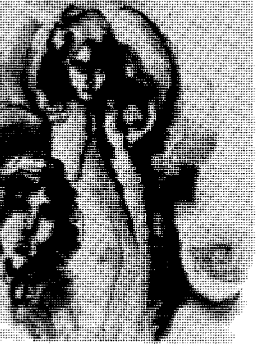
ودائما تضيع أفكارنا في منتصف الطريق ..
بين اقتناعنا بها ، ورفض الاخرين لها ،
أو بين دخولها فى الآخرين •• وخروجنا منها !
لكننا نخوف افكارنا ،
ونقسو على خفقاتنا ..
إننا معذبون بالفرح الذي يقتحمنا ـ للمناسبة ـ دون أن ننتظره ،
ويتخلى عنا دون أن يكتمل !!
فنحن نهرب من فعاليتنا الى انفعالاتنا !!





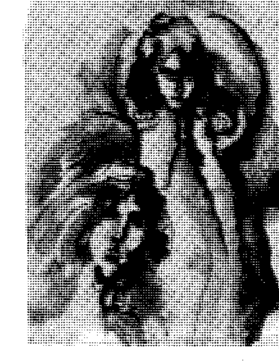
ياليته يرتاح





إنني أغوص وأطفو ...
إنني أبحر في ركض من أحب ..
يتقاذفني الموج .
وأتورط في شجني حتى السؤال !
ولا أريد أن أسأل ..
كل ما أرغب .. هو أن أرى بوضوح !
أحيانا .. لا أود أن أشير الى الأشياء التي أمامي ..
أن أتفرج فقط ،
فأنا أشاهد الناس يركضون :
(وراء الأشياء . وراء العمر ..
وراء المال ، المجـــد ، النسيان .
وراء غيمة من دخان سجائرهم)!!
لن أجاريهم ما استطعت ،
أعرف أنهم لن يبلغوا كل الهدف ..
أنهم متعبون من الآن ،
أنهم يموتون برغائبهم ،
أو تقتلهم أشياؤهم الصغيرة !

* * *



أرغب أن أرى بوضوح ،
ولا بأس أن أبعثر سؤالا واحدا ..
واحدا فقط هو :
ـ لماذا يتهافت الناس على قراءة أخبار العلم
تلك التي تتحدث عن قرب توزيع « إبر الذاكرة » ؟ !
هل لأن الناس فقدوا ذاكرتهم ،
أم أنهم لا يرغبون في فقدها ..
أم الصورة تختلف ،
إذ يريد النـاس أن يستبدلـوا ذاكرتهـم القديمـة بذاكرة جديدة ؟ !
أما الذين فقدوا ذاكرتهم .
فلماذا الحسرة .
ما الذي كانت تحتويه ذاكرتهم ؟ !
إن كل ما فيها هو الجري وراء الوراء دائما !
إن العلم سيثبت أن ذاكرة الانسان لم تصبح خائنة له ..
الا لأنها مليئة بالعذاب الخفي .. ومليئة بالمتناقضات !!

* * *

إني أغوص وأطفو ..
ـ مازال النهار يولد على فروعك ..
فانظر نحو قرص الشمس كيف يتساقط ضوؤه على فروعك متوهجاً أخاذا !
إنه العمر الحافل بكل النقائص ..
فالفرح نقيض الفرح ..



لم يعد الفرح نقيض الترح !
وفي ذكرى الميلاد أبصر جيدا ..
سنوات من العمر امتلأت بالضياء ..
وتناثرت مع الأيام أوراقا متساقطة بلا هوية ..
وطنها الذكرى ،
ودروبها الحنين ،
ومستقرها صبابة من القناعة ..
بجدوى العطاء الذي لا يسأل عن مكافأة !

* * *

إننا نطفىء شمعة أخرى كل عام ، ونشيخ !
إننا لا نحتفل وإنما نتصبر ..
نطرد الشيخوخة القادمة ..
نقيم مظاهرة دعائية للسخرية بالشباب ..
ثم نتلفت مجددا .. نفتش عن شبابنا الجديد ..
قادما مع تفتح عمر اولادنا ..
زهورنا التي نلقيها في بيادر الحياة لتنتشي ، وتعبق ، وتصنع عمرا آخر !
ها أنذا احتضن زهرتي الأولى البكر ،
وقد تفتحت كالأمل ،
وعبقت كالشوق ،
وشمخت تنتشر في عمري كشعاع الفجر الجديد .
ها أنذا أرفعها الى الحياة ،
وأذوب كما لحظة العناق ..



أمنحها فيئا ، وأستمد منها ذاكرة جديدة للعمر المتبقي !
ها هي - إبنتي - عروسا ،
كأنها الميلاد الجديد لأمانيَّ ..
كأنها التفاؤل الأخضر في تأملي ..
كأنها أكسير الفرح الذي يبـدد من بـين ضلوعـي غربـة العثور ،
ويروي جوانحي بالغد !

* * *

لقد بلغ عقلي سن الملل ،
ويطوي الملل في جنحه كل نهدة ...
استنهضت فكرتي ذات يوم !
ويبقى البياض قرصا يلمع في صحراء العمر كالآل ..
كالنداء الذي يتواصل ولا يصل !

* * *

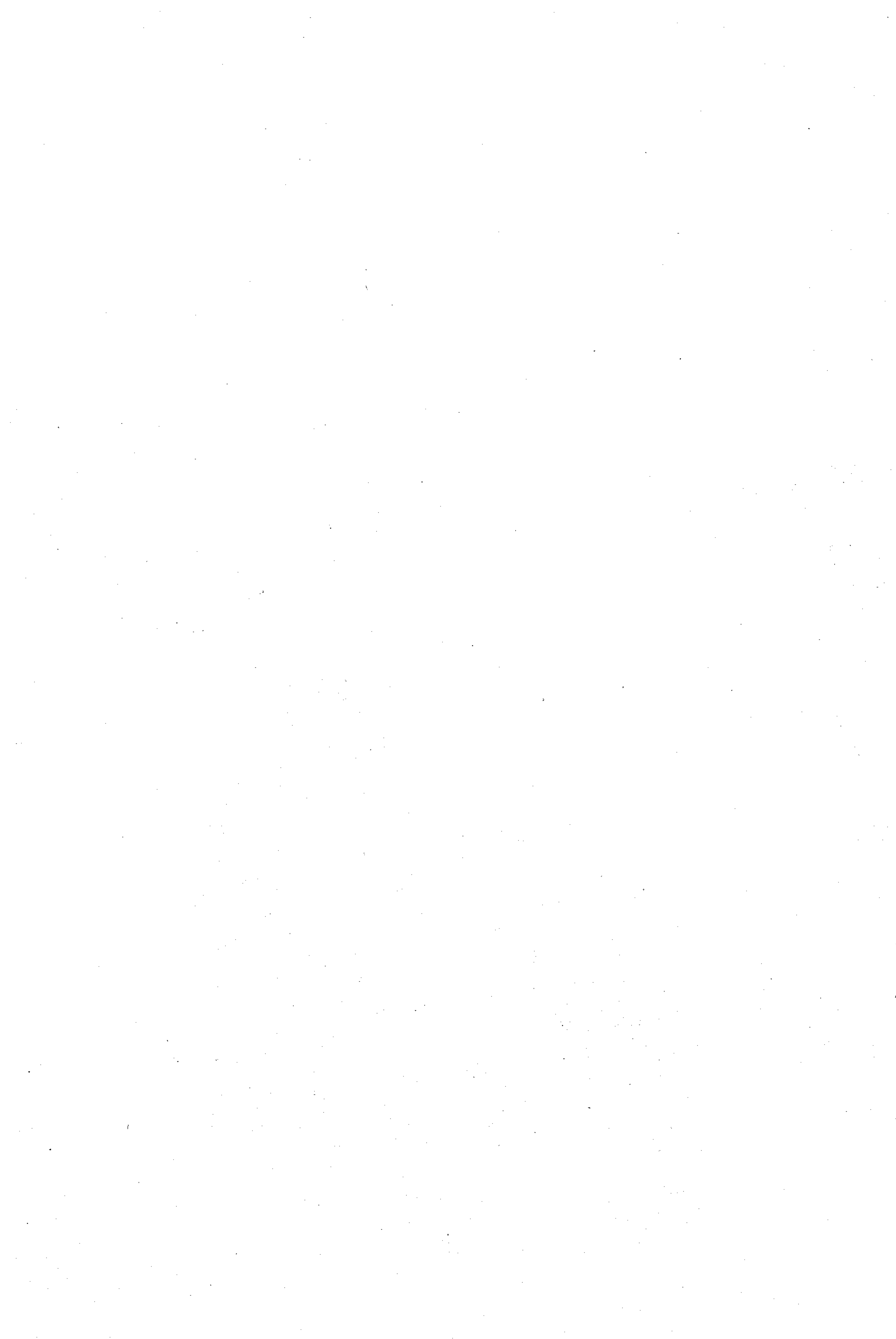
إنني اتعاطف ، وانبجس ،
وأنسفح . وأتدفق .
الى ما لا نهاية ..
أتذكر تلك اللحظة .
في وقفة بطل قصة « بعد الغروب » ..
أحدق معه في الأشجار العتيقة وكيف تموت واقفة ،
وأتأمل معه قرص الشمس وهو يسقط قانيا مضرجاً خلف الأكمة ،
وأهمس بعبارته :



ـ ستسقط الظلال بعد قليل ،
وتهرب الفراشات الى ضوء الشموع ،
وتنق الضفادع فوق صفحة المجرى ..
ستتحول الساعات هدوءا باردا ،
ويتوقف الانسان هنا عند لحظة الغروب ..
يعصر كلماته ، فتتقطر طفولة ، ودموعا وصدقا !!

* * *

فيا أيها العمر .. في ذكرى الميلاد ..
تبعثر عشقي فوق نزق أيامك ،
وصمت بوحك
واختزان أحزانك ..
وتغربت الأيام في أمسيات الرجع ،
وتبقت زهرة تتفتح كالأمل ،
وتعبق كالشوق ،
وتشمخ وتنتشر في عمري كشعاع الفجر الجديد .
ها أنذا أزفها الى الحياة ،
وأذوب في لحظة العناق ..
ويزفني عمري الى سن الهدوء ..
قلبا اختفت حفافيه مما فاض ، ويزفني عمرى الى سن الملل .
ـ عقلا ـ يا ليته يرتاح !!





شموع العمر





البارحة .. نهض في داخلي انسان ...
بلغ به العمر مشارف الثالثة والأربعين !
فكرت أن أجمع عددا من الشموع لأطفئها ..
فتلفت في أعماقي ..
ها هي شموع كثيرة بين جوانبي تضيء ، وتضيء ..
حتى يأتي الموت الحاسم ..
وها هي شموع في ثمالاتها ..
ذابت وسقطت مع الماضي ، والذكريات ، والمكابدة ..
أعطت دورها ، ولم يتبق منها سوى الأثر !
أشجاري تتعرى يوما بعد يوم ..
وتسقط الأحلام في ذاكرة صماء !

* * *

تولد الساعات وتموت ...
وكل شييء من نفوسنا ، واليها :
مؤقت ، أو ممنوح ، أو يعاني من التعب ،
ولكنه يلمع أحيانا في الفرحة التي نصنعها لمن نحب ..
لنراهم سعداء !



لقد بلغ قلبي سن الهدوء ..

وينطوي هذا الهدوء غالبا في جنح النسيان ..

كأنّ ما بيني ، وبين النهار التزام ،

وما بيني وبين الأمسيات أصداء وحنين ،

يسترخي ولكنه لا يخبو !

كأن الالتزام هو خيط « الفكرة » ..

تلك التي نواصل بها الاجترار لكل ما أكلته الليالي !

وكأن الأصداء والحنين ..

هما نبض القلب ..

ذلك الذي نحيا به بقية العمر . ونحيا فيه الذكريات !

* * *

تكاد الثلوج أن تأكل ضلوعي ..

ويكاد عطر الحياة ان يتجمد في ابتسامتي الحزينة !

فما هو العمر .. يا ذكرى الميلاد ؟ !

قلت لأجمل حنين :

ـ ان العمر هو الحزن مبتسما !

وفجأة ..

أخذني صوت جمال عمري يرجحني في الحزن المبتسم ..

ويقول لي :

ـ ان الابحار هو اللامدى فى النظرة ..

هو الصفاء في الرؤية ..

هو اتساع المسافة في التأمل ..



هو استمرار الأمل في التحديق !

إن الابحار .. هو السفر الدائم خلف الأفئدة ، والعواطف ، والعقول !

فلن يصل المرء الى النهايات التي يحددها .

فالناس كما يقول بول فاليري :

ـ « لا يذهبون أبدا الى النهاية » .

ذلك لأنهم لا يقدرون ،

أو لأنهم لا يحتملون عظمة النهايات !

إن حاجة الانسان واحدة لا تتغير ..

هي : ان تصل كل أشيائه الى النهاية !

لكننا نعجز غالبا أن نصنع النهايات ،

ولكن النهايات هي التي تصنع حياتنا أو تتوقف بها !

إننا نفاجأ بالنهايات ..

مرت سارة تغمر حتى النسيان ،

ولكنها كثيرا ما تكون تفسيرا لبشاعة الزحام ،

ولتفاهة دوافع الركض !

* * *

كنت أغوص وأطفو ..

أرفض أن أتحول الى مجرد مشاهد تعبر أمامه العديد من الصور .

إنني أبحر في ركض من أحب ،

وأتورط في شجني !



وهناك .. في مكان أتوقف فيه فجأة ...
هناك ليل أبيض ..
أتعلم فيه محبة الناس ،
محبة العشق عندما لا تتكرر صورة واحدة بشتى المشاهد !
أتعلم أن أبقى مبحرا خلف الحنين والشوق ..
لا أتطلع الى نهاية الابحار ..
في صدري شجني ،
وفي عيني : الركض وعيناها !!

* * *

إنني أتغرغر بحزني !
ويبقى أفقي كله يمطر وجهك دوما دوما دوما !!

* * *

بت غريبا في هذا الليل ..
الذي يمحوني ويطلعني موعدا شكاكا ..
كأنني حجة ضد الفرح ..
كأن ساحرا في صدري يهز أضلعي ويكسرها بالحدس ..
ويجعل الريح سريري ،
ويجعل الانحناء غروري !
أحيا بين الاثمار والجفاف ..
أبدل محاراتي ببيوت عنكبوت .
أتوجس من الوقفة التي طالت في انتظار أن تطلعى كالهلال !
كأنك الزمان المندهش ،



وأنت أكبر من أشجاري ،
ومع ذلك فما زلت أنا الغابة الممتلئة التي لا حدود لها ..
أمتلىء بالغموض ،
وبالأسرار وبالبوح ..
بالميلاد وبالتاريخ .
أبحث عنك في داخلك ..
فأنا لقاؤك تحت المطر ،
وفوق الثلوج ،
وداخل الحرائق ..
أنا عمرك الحقيقي ..
أما أنت فما زلت معنى العمر كله !!





ماتزال اللوحة ..
فى مكانها !



ما برحتها الحدقات ..

ما تلملم عنها الطرف ..

ما خبا بريق السحر منها ..

انه يعكس أصالة ما عبرّت ..

وعمق ما أعطى الاحساس بمعانيها ..

شاخص إليها بنظراته ..

يدسّها في الظلال والزوايا ..

يعبّ الأبعاد وهي تعطى انعكاساً لتوقع الرحيل ، والانتظار بعد ذلك ..

أملا في التمازج من جديد ..

***

رسام هو ..

لم يكن يحترف إبداع الملامح ، أو الزوايا، أو مزج الألوان !

لم يكن يحترف أيضا رسم اللوحة بريشة يغمسها في الألوان ويرتقب جفاف

اللوحة ..

كان ـ فقط ـ فنان لحظة ..



فنان حس .
فنان نهدة تتبلور في الوجدان حسا دافئاً .
صارخاً .. فعالا !!
الفنان حينما يمرض شعوره بالصمم .. يفقد قيمة أن يحيا .

وأن يعبر !
وهو .. كان يشعر بعافية وجدانية في أعماقه ..
رغم التوقف عند لحظة رحيل مؤقت .
كانت نظراته تحتضن الوان اللوحة ، ووميضها ، وما

يمكن أن ينعكس على
زواياها ..
كان ينتظر !!
لحظة الصدق ينتظرها ..
وهي لوحة ثمينة تبقى أكبر من كل المزادات ..
ويتعذر شراؤها من جديد ..
قيمتها أغلى من التصور ..
واللوحة هذه كانت تعبيراً عن اللحظة تلك ..
مليئة بالظلال الراقصة .
ومع ذلك كان الفنان في أعماقه يتساءل :
ـ هل تبقى اللوحة في مكانها زمناً طويلا .. طويلا ؟!

* * *

نظراته ضائعة في اللوحة .. ممتزجة بالوانها ..
انه لا يريد ان يحول اللوحة إلى شيء مرصود !



يتمنى لو تحركت ظلالها الآن ..
يتمنى لو تماوجت الوانها ..
لو تداخلت زواياها ، ليشعر بالحياة مع حياتها !
لم يكن شاعراً خياليا مغرقاً في الرومانتيكية ..
كان فناناً بالحياة ..
فما قيمته إذا تصور أن الحياة فنية به هو ؟!
ـ (البحر الهادىء الصامت ، وهو يصغي إلى خطوات مرتاحة منطلقة ..
الأضواء البعيدة التي تبدو فتحة نافذة في ظلال الليل ..
والتوارى عنها إلى الظلال المكثفة !
الاخفاق في الكلام ..
والاصرار على الشرود لاحتواء كل شيء وتبديده بعد ذلك) !

* * *

كان هذا هو وجه اللوحة ، أو هذه خطوطها ..
وعند تأمله لها بعد رسمها ..
كان يتذكر الموت ..
ينتابه خاطر بالتلباثية الحزينة بأنه سيموت وهو شاخص إليها ..
وهو يفكر فيها .
وهو مصلوب على الانتظار ..
يدق نظراته في منتصف الطريق ليلقاها ..



ليقول لكل الحياة فيها : أهلا !

لم يعطه الحزن إلا بسمة « محبّرة » على شفتين مزمومتين ..

تقول لطفل ساذج حلو : قبّلني !

لم تعطه البسمة إلا مزيدا من الشرود ..

ليلتصق « بفنية » الحياة !!

لم يعطه الشرود إلا كلمة فجائية تتردد دائماً ..

وتقول : ها ؟!

وتقف هذه الكلمة متعاطفة مع النظرة ... تنتظر !

وتمتد إليه الاصابع مشيرة .. تتساءل :

ـ هذا الفنان .. ما باله متجمداً أمام لوحته .. مصلوباً ؟!

أتخاله قد مات ؟!

ولكنه لم يمت ..

انه ما زال يحيا .. على بقايا ابتسامة !

ومن أجل ذلك أيضاً ...

ما تزال اللوحة في مكانها !!

□ للمؤلف :

١ ـ حياة جائعة
ـ مجموعة قصص قصيرة
٢ ـ الجدار الآخر
ـ مجموعة قصص قصيرة
٣ ـ لحظات
ـ خواطر وتأملات
٤ ـ حوار .. وصدى
ـ رؤية انسانية عبر الحوار

ـــــ تحت الطبع ـــــ

□ ذلك الشقي ـ رواية
□ سواح .. في الغربة ـ رحلات
□ الصهد ـ رواية
□ ضوء في الوطن ـ مقالات

إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

الكتاب	المؤلف
* الجبل الذي صار سهلاً	المرحوم الأستاذ أحمد قنديل
* من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
* عهد الصبا في البادية	الأستاذ عزيز ضياء
* التنمية قضية	دكتور محمود محمد سفر
* قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	دكتور سليمان الغنام
* الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
* الدوامة (قصة طويلة)	دكتور عصام محمد علي خوقير
* غداً أنسى (قصة طويلة)	دكتورة أمل محمد شطا
* موضوعات اقتصادية معاصرة	دكتور علي بن طلال الجهني
* ازمة الطاقة إلى أين؟	دكتور عبد العزيز حسين الصويغ
* نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
* إلى ابنتي شيرين	المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* رفات عقل	المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* شرح قصيدة البردة (دراسة وتحقيق)	دكتور محمود زيني
* عواطف انسانية (ديوان شعر)	دكتورة مريم البغدادي
* عمارة المسجد الحرام	المرحوم الأستاذ حسين باسلامة
* وقفة	دكتور عبد الله حسين باسلامة
* خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد السباعي
* طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
* عبير الذكريات (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري

* الحضارة تحدٌّ — دكتور محمود محمد سفر
* لحظة ضعف — الأستاذ فؤاد صادق مفتي
* الرجولة عماد الخلق الفاضل — المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* أفكار بلا زمن — الأستاذ عبد الله الحصيِّن
* علم إدارة الأفراد — الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
* الإبحار في ليل الشجن [شعر] — الأستاذ محمد فهد العيسى
* التنمية وجهاً لوجه — دكتور غازي القصيبي

■ تحت الطبع

* قال وقلت — الأستاذ أحمد السباعي
* نبض.. — الأستاذ عبد الله جفري
* تسالي [زجل شعبي] — الدكتور حسن نصيف
* السعد وعد (مسرحية) — الدكتور عصام محمد علي خوقير
* عام ١٩٨٤ مجنون أورو ين [ترجمة] — الأستاذ عز يز ضياء
* الأمثال الشعبية في مدن الحجاز — الأستاذ أحمد السباعي
* حصاد عمر وثمرات قلم — الأستاذ محمد حسين ز يدان
* مكانك تحمدي — الأستاذ أحمد محمد جمال
* التار يخ العر بي و بدايته — الأستاذ أمين مدني
* قصص من سومرست موم — الأستاذ عز يز ضياء
* مجلة الأحكام الشرعية — دكتور عبد الوهاب سليمان
* أيامي.. — الأستاذ أحمد السباعي
* ماما ز بيدة [مجموعة قصصية] — الأستاذ عز يز ضياء
* خدعتني بحبها (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبد الله بوقس
* مدارسنا والتر بية — الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
* السنيورا (قصة طو يلة) — الدكتور عصام محمد علي خوقير

* الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — دكتور حسن محمد باجودة
* النفس الانسانية في القرآن — الأستاذ ابراهيم سرسيق
* رقيب اليوم — الأستاذ حامد مطاوع

الكتاب الجامعي

صدر منها :—

* النمو من الطفولة إلى المراهقة — دكتور محمد جميل منصور، دكتور فاروق سيد عبد السلام
* النفط العربي وصناعة تكريره — دكتور أحمد رمضان شقلية
* الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا — دكتور عبد المنعم رسلان
* الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — دكتور مدني عبد القادر علاقي
* الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق [باللغة الانجليزية] — الدكتور : فؤاد زهران، الدكتور : عدنان جمجوم، الدكتور : محمد عيد
* علاقة الآباء بالأبناء [دراسة فقهية] — دكتورة سعاد ابراهيم
* الملامح الجغرافية لدروب الحج — الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
* مبادئ القانون لرجال الأعمال في المملكة العربية السعودية — دكتور محمد ابراهيم أبو العينين

* الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
* القضايا التربوية في المملكة العربية السعودية — دكتور عباس نتو
* هندسة النظام الكوني في القرآن — دكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
* الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — دكتور لطفي بركات أحمد

رسائل جامعية

■ تحت الطبع

* العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — أميرة علي المداح
* بيان خطأ من أخطاء علي الشافعي — دكتور نايف هاشم الدعيس
* المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي — دكتور نايف هاشم الدعيس
* القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
* السيوطي ومنهجه في فقه اللغة — الأستاذ محمد يعقوب تركستاني



مطبوعات PUBLICATIONS

صدر منها : —

* حارس الفندق القديم — الأستاذ صالح ابراهيم

■ تحت الطبع

* دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — دكتور محمود الشهابي
* الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الاسلام. — الأستاذ أمين ساعاتي

* خطوط وكلمات [رسوم كار يكاتور ية]	الأستاذ علي الخرجي
* القرآن ودنيا الانسان	الأستاذ صلاح البكري
* الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية	الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
* الاستراتيجية النفطية ودول الأو بك	الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
* ألوان	الأستاذ أحمد الشر يف الرفاعي
* التخلف الإملائي عند التلميذات	الأستاذة نوال قاضي
* وللخوف عيون	الأستاذ أحمد شر يف الرفاعي
* سوانح وخواطر	الأستاذ أحمد طاشكندي

كتاب للأطفال

صدر منها :ـــ

لكل حيوان قصة

للاستاذ يعقوب اسحاق

* الكلب
* القرد
* الثعلب
* الضب

■ تحت الطبع

* الغراب
* السلحفاة
* الأرنب
* الحمار الوحشي
* الجمل
* الأسد
* الذئب
* البغل

□ الرسوم واللوحات الداخلية للقصص :

بريشة الفنان السعودي

يحيى باجنيد